

---

جامعة الملك سعود  
كلية التربية  
قسم الدراسات الإسلامية

مقرر ٣٢٣ سلم  
العقيدة الإسلامية والمذاهب الفكرية المعاصرة

أستاذ المقرر  
د/ سهل بن رفاع بن سهيل

بسم الله الرحمن الرحيم

## ٣٢٣ سلم

اسم المقرر: العقيدة الإسلامية والمذاهب الفكرية المعاصرة.

١. المتطلب السابق: العقيدة الإسلامية.

٢. الهدف: إثبات المعتقدات الإسلامية في الله، والكون، والإنسان، في مواجهة التيارات والمذاهب المعاصرة، عن طريق مناقشتها والرد عليها.

٣. الموضوعات:

- إنكار وجود الله في بعض المذاهب الفلسفية المعاصرة، والرد عليها، مثل: الماركسية، والوجودية، والبرجماتية.
- الاتجاه المادي في تصور الكون، مثل: الماركسية، والوجودية، ومناقشتها، والرد عليها من خلال الحقائق الإسلامية.
- الإنسان في الإسلام: خلقه، ومكانته، ورسالته، ومصيره، ومناقشة نظرية التطور، وحرية الإنسان في الوجودية، والرد عليهما في ضوء تصور الإسلام للإنسان.

## الفصل الأول

### تعريف العقيدة الإسلامية والمذاهب الفكرية المعاصرة

#### ٠١ العقيدة لغة:

مأخوذة من العقد، وهو الربط والشد بقوة، ومنه الأحكام والإبرام، والتماسك والمرابطة، والإثبات والتوثق. ويطلق على العهد، وتأكيد اليمين عقدٌ، ويطلق على البيع: عقدٌ؛ لارتباط البائع والمشتري بهذا العقد اللازم، ومنه عقد الإزار؛ لأنه يشد بأحكام. وما عقد الإنسان عليه قلبه حازماً به فهو عقيدة.

#### ٠٢ العقيدة في الاصطلاح العام:

تطلق على حكم الذهن الجازم، حقاً كان أم باطلاً، فإن كان الحكم الذهني الجازم صحيحاً، كانت العقيدة صحيحة؛ كاعتقاد المسلمين بوحداية الله تعالى. وإن كان باطلاً كانت العقيدة باطلة، كاعتقاد النصارى بأن الله ثالث ثلاثة.

وتطلق أيضاً -على الإيمان الجازم، والحكم القاطع، الذي لا يتطرق إليه شك لدى المعتقد، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعقد عليه ضميره، ويتخذه مذهباً وديناً يدين به، بغض النظر عن صحته من عدمها. وسميت عقيدة لأن الإنسان يعقد عليها قلبه.

#### ٠٣ العقيدة الإسلامية:

هي الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم، والأمر، والقدر، والشرع، ورسوله ﷺ بالطاعة والاتباع.

تنبيه:

العقيدة الإسلامية إذا أطلقت فالمراد بها عقيدة أهل السنة والجماعة، لأنها هي الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً لعباده.

ونسبة أقوال الناس والفرق ومعتقداتها المخالفة للسلف إلى الإسلام لا تجعلها من العقيدة الإسلامية الحققة، بل هي معتقدات تنسب إلى أصحابها، والحق فيها براء، وقد يسميها بعض الباحثين إسلامية، من باب النسبة الجغرافية والتاريخية، أو لمجرد دعوى الانتماء، أي: أن أصحابها ومعتقديها يدعون الإسلام ويسمونها إسلامية،

ولكن الأمر عند التحقيق يحتاج إلى العرض على الكتاب والسنة في أمر الاعتقاد، فما وافق الكتاب والسنة واستمد منها فهو الحق، وهو من العقيدة الإسلامية، وما لم يكن كذلك فيرد إلى صاحبه وينسب إليه.

#### ٥٤ موضوعات علم العقيدة:

العقيدة بمفهوم أهل السنة والجماعة اسم علم على العلم الذي يدرس ويتناول جوانب التوحيد، والإيمان، والإسلام، وأمور الغيب، والنبوت، والقدر، والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وما أجمع عليه السلف الصالح من أمور العقيدة، كالولاء والبراء، والواجب تجاه الصحابة، وأمهات المؤمنين. ويدخل في ذلك الرد على الكفار، والمبتدعة، وأهل الأهواء، وسائر الملل والنحل، والمذاهب الهدامة، والفرق الضالة، والموقف منهم، إلى غير ذلك من مباحث العقيدة. ومن مسميات هذا العلم: العقيدة، والتوحيد، والسنة، وأصول الدين، والشريعة، والإيمان، والفقهاء الأكبر.

#### ٥٥ تعريف الأديان.

الأديان: جمع دين، والدين في اللغة بمعنى الطاعة والانقياد. اصطلاحاً: ما يعتنقه الإنسان ويعتقده ويدين به من أمور الغيب والشهادة. وفي الاصطلاح الإسلامي: التسليم لله تعالى والانقياد له. وهو ملة الإسلام، وعقيدة التوحيد التي هي دين جميع المرسلين من لدن آدم ونوح إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ. والأديان الباطلة تسمى ديناً لقوله تعالى: (لكم دينكم ولي دين). سواء كانت في أصلها باطلة كالبودية. أو كانت في أصلها صحيحة ولكنها حرفة وبدلت ونسخت كاليهودية والنصرانية. والناس يطلقون على من يؤمنون به ويعتقونه من مبادئ وأفكار عقائد، وإن كانت باطلة أو لا تستند إلى دليل عقلي ولا نقلي. فالشيوعي يعتنق أهواء وأراء باطلة، ويسميتها عقيدة وديناً وكذا البوذي واليهودي والنصراني.

#### ٥٦ تعريف المذاهب.

المذاهب: جمع مذهب وهو الطريقة والمعتقد الذي يذهب إليه الإنسان. اصطلاحاً: مجموعة الآراء والأفكار التي يراها أو يعتقدونها الإنسان حول جانب أو أكثر من حياته العلمية أو العملية في الاعتقاد أو النظام أو السلوك. ومن أمثلة المذاهب الفكرية المعاصرة: الماركسية، والوجودية، والعلمانية، والماسونية، ونحوها.

## ٠٧ ما الفرق بين الدين والمذهب؟

الدين أشمل من المذهب وأوسع مفهوماً، لأن الدين يشتمل على اعتقاد الإنسان حول الخالق والمخلوقات وأمور الغيب والآخرة، أما المذهب فيكون في بعض هذه الأمور أو مسائل منها، وقد يكون في أمور الحياة فقط.

## ٠٨ يقال المذاهب الفلسفية، فما المراد بالفلسفة والفلاسفة؟

الفلسفة: هي البحث عن طبائع الأشياء، وحقائق الموجودات.

والفلاسفة: هم الذين ينتسبون إلى الفلسفة. وهي كلمة يونانية تعني محبة الحكمة. وأكثر الفلاسفة ينكرون علم الله، وينكرون حشر الأجساد.

فهم ملاحدة لا يؤمنون بالبعث ولا النشور على ما جاء في الكتاب والسنة، كما أنهم لا يثبتون للرب أسماء وصفاته، ومن قدامائهم أرسطو تلميذ أفلاطون اليونانيان، ومن متأخريهم أبو نصر الفارابي وابن سينا. وقد وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه درء تعارض العقل والنقل (١/٨-١٢)، فقال: (إن الفلاسفة يسلكون طريق التبديل مثل المتكلمين، والمتكلمون هم أهل التحريف والتأويل).

وكذا وصفهم ابن القيم - رحمه الله - في كتابه الصواعق المرسلية (٢/٢١٨): بأنهم أصحاب التخييل، لأنهم يعتقدون أن الرسل لم يفصحوا للخلق الحقائق، إذ ليس لهم إدراكها، وإنما أبرزوا لهم المعقول بصورة المحسوس.

## ٠٩ الحالة الدينية للعالم في هذا العصر.

من البدهي لدى كل مسلم أن الإسلام - عقيدة وسلوكاً - هو الميزان الصحيح والحكم العدل في تقويم الأديان والمذاهب، والحكم على استقامة الأمم والشعوب، أو انحرافها. وعلى هذا فإن المتأمل لحال البشرية الدينية اليوم يرى أن الناس على أربعة أصناف:

**الصنف الأول:** مسلم متمسك بدينه، معتصم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، على هدى وبصيرة.

وهؤلاء رغم قلتهم منتشرون بحمد الله في سائر المعمورة، يربطهم رباط العقيدة الصحيحة، وأخوة الإيمان، وهم الطائفة المنصورة الناجية في هذه الدنيا من البدع والخرافات وفي الآخرة من النار لقوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: (لا تزال طائفة من أممي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك). والمراد بأمر الله قيام الساعة.

**الصنف الثاني:** المنتمون للإسلام، وهم على شيء من الانحراف والضلال، أو على الكفر، أو الجهل. وهم مع الأسف كثير ممن يدّعي الإسلام، من الصوفية، والرافضة، والباطنية، والنصيرية، وأصحاب القبور، وأصحاب المبادئ والاتجاهات الهدامة: كالأشترائية، والقومية، والبعثية، والعلمانية، وسواهم من ذوي الانحراف العقدي والعملي.

**الصنف الثالث:** أتباع الديانات الضالة.

وهؤلاء إما كتابيون: وهم الذين ينتمون إلى الأديان المنزلة من الله في أصلها ولكن دخلها التحريف والشرك ثم نسخت، وهم اليهود والنصارى. وإما وثنيون يتبعون ديناً مبتدعاً يقوم في أصله على الشرك والوثنية وتقديس المخلوقات، كالبراهمة والبوذيين والكنفوشيين والمجوس وأكثر الفلاسفة. وهذا الصنف كافر صريح الكفر.

**الصنف الرابع:** الملاحدة.

وهم الذين لا يدينون بدين، أو يتبعون مذاهب تجرد وجود الخالق سبحانه وتعالى وخم بعض الفلاسفة والدهريون والشيوعيون وبعض العلمانيين ونحوهم وهم كفار ملاحدة.

### ١٠٠. واجب المسلم تجاه هذا الواقع:

**أولاً:** واجب على المسلم أن يكون على بصيرة من دينه، واعياً ومدركاً لواجبه، وما يدور حوله، وما يحاك لدينه وأمته، ليعرف الخير فيتمسك به، ويعرف الشر فيحذره، ويكون جندياً مخلصاً لعقيدته ودينه وأمته. **ثانياً:** بعد أن يفهم دينه وعقيدته، ويدرك ما يحاك حوله لدينه وأمته من مكر وعداء، يجب عليه أن يطلع على ما حوله من ديانات ومذاهب واتجاهات منحرفة ضالة، فيزنها بميزان الإسلام، ويحكم عليها بحكم الله المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه السلف الصالح، ومن ثم يقف الموقف الذي يفرضه عليه إسلامه ليدود عن دينه وأمته، ويصد الفساد والانحراف، عن علم وبصيرة وهدى.

**ثالثاً:** ثم عليه أن يكون متميزاً في سلوكه وتعامله مع الآخرين، فينطلق في تعامله مع الكفار من منطلق الإسلام وهدى القرآن والسنة وعمل السلف الصالح، ولا يكون إمعة يتبع كل ناعق، ولا مغفلاً فيؤتى الإسلام من قبله، ولا ضعيفاً ينخدع بما عليه الكفار من زنة الحياة الدنيا. فالكافر كافر مهما بلغ من مظاهر التقدم<sup>(١)</sup>.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذه المواضيع لخطورة تلك المذاهب والاتجاهات المنحرفة الهدامة على المسلمين وعلى البشرية أجمع.

(١) انظر: كتاب الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة.

١١٠ تاريخ الدين في البشرية<sup>(١)</sup>:

الدين الإلهي، وعقيدة التوحيد الخالصة هما الأصل في حياة البشرية منذ أن خلق الله آدم وذريته بخلاف ما تدعيه النظريات المادية والفلسفية، التي تزعم أن البشرية في أول أمرها كانت لا تعرف التوحيد، وأن الناس كانوا يعبدون ما حولهم من المخلوقات التي يروجونها أو يخافونها فهذا باطل، ومحض افتراء يقوم على تخرصات الخراصين وظنون الجاهلين، وإنما حدث الشرك بعد أزمان حين كثر الخبث وحاد البشر عن دين الله وشرعه القويم.

وتبدأ قصة البشرية منذ أن خلق الله أبا البشر آدم -عليه السلام- حيث خلقه الله بيده الكريمة من طين، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء الأشياء كلها من الطيور، والدواب، وغير ذلك، وأمر الملائكة أن يسجدوا لآدم؛ زيادة في التكريم والتشريف، فسجدوا كلهم إلا إبليس أبي واستكبر، فأهبطه الله من ملكوت السموات، وأخرجه ذليلاً مدحوراً، وقضى عليه باللعنة، والشقاء والنار.

وبعد ذلك سأل إبليسُ ربّه أن يُنظره إلى يوم القيامة، فقال الله تعالى: (إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ) [الأعراف: ١٥]، فقال إبليس، كما قال تعالى عنه أنه قال: (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) [ص: ٨٢ - ٨٣]، وقال: (فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَأَبَيَّنَّ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) [الأعراف: ١٦ - ١٧]، فقال الله عز وجل: (اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأعراف: ١٨]، فأخرجه الله من الجنة، وأعطاه القدرة على الوسوسة والإغواء، وأمهلته إلى يوم القيامة، ليزداد إثماً، فتعظم عقوبته، ويتضاعف عذابه، وليجعل الله محكاً يتميز به الخبيث من الطيب.

ثم بعد ذلك خلق الله من آدم زوجته حواء؛ ليسكن إليها، ويأنس بها، وأمرهما أن يسكنا دار النعيم الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأخبرهما -عز وجل- بعداوة إبليس لهما، ونهاهما عن الأكل من شجرة من أشجار الجنة؛ ابتلاءً وامتحاناً، فوسوس لهما الشيطان، وزين لهما الأكل من تلك الشجرة، وأقسم لهما أنه لهما من الناصحين، وقال: "إن أكلتما من هذه الشجرة كنتما من الخالدين".

فلم يزل لهما حتى اغواهما، فأكلا من الشجرة، وعصيا ربّهما؛ فندما على ما فعلا أشد الندم، وتابا إلى ربّهما، فتاب عليهما، واجتباهما، لكنه أهبطهما من الجنة دار النعيم إلى الدنيا دار النصب والتعب، وسكن آدم الأرض، ورزقه الله الذرية التي تكاثرت، وتشعبت إلى يومنا الحاضر، ثم توفاه الله، وأدخله الجنة.

ومنذ أن أهبط الله آدم وزوجته إلى الأرض والعداوة قائمة مستمرة بين بني آدم من جهة، وبين إبليس وذريته من جهة، ومنذ ذلك الحين وإبليس وذريته في صراع دائم مع بني آدم؛ لصدهم عن الهدى، وحرمانهم من الخير، وتزيين الشر لهم، وإبعادهم عما يرضي الله؛ حرصاً على شقائهم في الدنيا، ودخولهم النار في الآخرة.

(١) انظر: كتاب الطريق إلى الإسلام، للدكتور/ محمد بن إبراهيم الحمد.

ولكن الله - عز وجل - لم يخلق خلقه سدى، ولم يتركهم هملاً، بل أرسل إليهم الرسل الذين يبينون لهم عبادة ربه، وينيرون لهم دروب الحياة، ويوصلونهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، فأخبر - سبحانه - الجن والإنس أنه إذا أتاكم مني كتاب، أو رسول يهديكم لما يقربكم مني، ويدنيكم من مرضاتي فاتبعوه؛ لأن من اتبع هدى الله، وآمن بكتبه ورسوله، وما جاء في الكتب، وما أمرت به الرسل فإنه لا يخاف، ولا يضل، ولا يشقى، بل تحصل له السعادة في الدنيا والآخرة.

وهكذا بدأت قصة البشرية، فعاش آدم ومن بعده ذريته عشرة قرون وهم على طاعة الله، وتوحيد، ثم حصل الشرك، وعُبد غير الله مع الله.

### أول حدوث الشرك:

إذا ثبت هذا فأعلم أن أول ما حدث الشرك في قوم نوح. قال تعالى: (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا). وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في تفسير هذه الآية: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصباً وسموهم بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعيد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت). قال ابن القيم رحمه الله: (قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم).

فبعث الله أول رسله وهو نوح - عليه السلام - يدعو الناس إلى عبادة الله، ونبت الشرك. ثم تتابع الأنبياء والرسل من بعده على اختلاف بينهم في الأزمنة، والأمكنة، وبعض الشرائع، وتفاصيلها مع الاتفاق في الأصل وهو: الدعوة إلى الإسلام، وعبادة الله وحده، ونبت ما يُعبد من دونه.

إلى أن جاء إبراهيم - عليه السلام - فدعا قومه إلى ترك عبادة الأصنام وإفراد الله بالعبادة، ثم كانت النبوة في ذريته من بعده في إسماعيل وإسحاق، ثم كانت في ذرية إسحاق.

ومن أعظم الأنبياء من ذرية إسحاق: يعقوب، ويوسف، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى عليهم السلام. ولم يكن بعد عيسى نبي من بني إسرائيل.

وبعد ذلك انتقلت النبوة إلى فرع إسماعيل؛ فكان أن اصطفى الله - عز وجل - محمداً - ﷺ - ليكون خاتماً للأنبياء والمرسلين، ولتكون رسالته هي الخاتمة، وكتابه الذي أنزل إليه وهو القرآن هو رسالة الله الأخيرة للبشرية. ولهذا جاءت رسالته شاملة، كاملة، عامة للإنس والجن، العرب وغير العرب، صالحة لكل زمان ومكان، وأمة وحال؛ فلا خير إلا دلت عليه، ولا شر إذا حذرت منه، ولا يقبل الله من أحد ديناً سوى ما جاء به محمد ﷺ.



## الفصل الثاني

### المذهب الأول من المذاهب الفكرية المعاصرة

#### الإلحاد

الإلحاد ظاهرة خطيرة تنافي الإيمان بالله، وتعارضه معارضة كلية، تلك الظاهرة القديمة الحديثة، فما معنى الإلحاد؟ وما أسبابه؟ وكيف دخل بلاد المسلمين؟ وما آثاره؟ وما علاجه؟

#### (١) معنى الإلحاد<sup>(١)</sup>.

الإلحاد في اللغة: الميل، ومنه سمي اللحد في القبر، لأنه مائل إلى جهة القبلة، وليس متوسطاً، والمتوسط يسمى شقاً. والإلحاد في الشرع: هو الميل عما يجب اعتقاده أو عمله. ويكون في أسماء الله وآياته.

دليل الإلحاد في الأسماء قوله تعالى: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأعراف: ١٨٠].

ودليل الإلحاد في الآيات قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا } . [فصلت: ٤٠].

- والإلحاد في الأسماء هو الميل فيها عما يجب، وهو أنواع:

**النوع الأول:** أن يسمى الله بما لم يسم به نفسه، كم سماه الفلاسفة علة فاعلة، وسماه النصارى: أباً، وكذلك لو سمي الله بأي اسم لم يسم به نفسه، فهو ملحد في أسماء الله.

ووجه ذلك أن أسماء الله عز وجل توقيفية، فلا يمكن أن تثبت له إلا ما ثبت بالنص، فإذا سميت الله بما لم يسم به نفسه، فقد أُلحِدت وملت عن الواجب.

وتسمية الله بما لم يسم به نفسه سوء أدب مع الله وظلم وعدوان في حققة، لأنه لو أن أحداً دعاك بغير اسمك أو سماك بغير اسمك، لاعتبرته قد اعتدى عليك وظلمك هذا في المخلوق، فكيف بالخالق؟!

**النوع الثاني:** أن ينكر شيئاً من أسمائه، سواء أنكر كل الأسماء أو بعضها التي تثبت لله.

ووجه الإلحاد فيها: أنه لما أثبتها الله لنفسه، وجب علينا أن نثبتها له، فإذا نفيناها كان إلحاداً وميلاً بما يجب فيها.

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن عثيمين (١/٨٩-٩٥).

النوع الثالث: أن ينكر ما دلت عليه من الصفات، فهو يثبت الاسم، لكن ينكر الصفة التي يتضمنها هذا الاسم، مثل أن يقول: إن الله سميع بلا سمع، وعليم بلا علم، وخالق بلا خلق، وقادر بلا قدرة... وهذا معروف عن المعتزلة، وهو غير معقول!

النوع الرابع: أن يثبت الأسماء لله والصفات، لكن يجعلها دالة على التمثيل، أي دالة على بصر كبصرنا وعلم كعلمنا، ومغفرة كمغفرتنا... وما أشبه ذلك، فهذا إلحاد، لأنه ميل بما عما يجب فيها، إذ الواجب إثباتها بلا تمثيل.

النوع الخامس: أن ينقلها إلى المعبودات، أو يشتق أسماء منها للمعبودات، مثل أن يسمى شيئاً معبوداً بالإله، فهذا إلحاد، أو يشتق منها أسماء للمعبودات مثل: اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، فنقول: هذا أيضاً إلحاد في أسماء الله، لأن الواجب عليك أن تجعل أسماء الله خاصة به، ولا تتعدى وتتجاوز فتشتق للمعبودات منها أسماء.

- وأما الإلحاد في آيات الله تعالى، فالآيات جمع آية، وهي العلامة المميزة للشيء عن غيره. وآيات الله عز وجل تنقسم إلى قسمين: آيات كونية، وآيات شرعية:

فالآيات الكونية: ما يتعلق بالخلق والتكوين، مثال ذلك قوله: { وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ } [فصلت: ٣٧]. وقوله تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ } [الروم: ٢٠]. وقوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) [الروم: ٢٢-٢٥]. فهذه الآيات كونية وإن شئت، فقل: كونية قدرية، وكانت آية الله، لأنه لا يستطيع الخلق أن يفعلوها، فمثلاً: لا يستطيع أحد أن يخلق مثل الشمس والقمر، ولا يستطيع أن يأتي بالليل إذا جاء النهار، ولا بالنهار إذا جاء الليل، فهذه الآيات كونية.

والإلحاد فيها أن ينسبها إلى غير الله استقلالاً أو مشاركة أو إعانة، فيقول: هذا من الولي الفلاني، أو: من النبي الفلاني، أو: شارك فيه النبي الفلاني أو الولي الفلاني، أو: أعان الله فيه.

القسم الثاني من الآيات: الآيات الشرعية، وهي ما جاءت به الرسل من الوحي، كالقرآن العظيم وهو آية، لقوله تعالى: { تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ } [البقرة: ٢٥٢]. ويكون الإلحاد فيها إما بتكذيبها أو تحريفها أو مخالفتها:

فتكذيبها: أن يقول: ليست من عند الله، فيكذب بها أصلاً، أو يكذب بما جاء فيها من الخبر مع تصديقه بالأصل، فيقول مثلاً: قصة أصحاب الكهف ليست صحيحة، وقصة أصحاب الفيل ليست صحيحة والله لم يرسل عليهم طيراً أبابيل.

وأما التحريف، فهو تغيير لفظها، أو صرف معناها عما أراد الله بها ورسوله، مثل أن يقول: استوى على العرش، أي: استولى، أو: ينزل إلى السماء الدنيا، أي: ينزل أمره. وأما مخالفتها، فبتك الأوامر أو فعل النواهي.

والمقصود بالإلحاد هنا: هو الكفر بالله، والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، والتكذيب بالبعث، والجنة، والنار، وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط، وتكذيب الرسل، وإنكار وجود الرب تبارك وتعالى. والإلحاد: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية، أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، فيدعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت. والإلحادُ عموماً يحملُ أحدَ معنيين:

أولهما: إنكارُ وجودِ الخالقِ، والقولُ بأزليَّةِ مادَّةِ، وأنها خالقةٌ مخلوقةٌ.

ثانيهما - وهو من إضافات أفلاطون - : إثباتُ وجودِ خالقٍ أو صانعٍ ، ولكنّه لا يعنى بشيءٍ من حياة الخلق، فهو موجدٌ للخلق، لكنّه ترك التصرفَ في الكون، وتفرَّغ في حياته المثاليَّة، وقد كان يقولُ بهذا القول من الفلاسفة: أبيقور.

ويُعدُّ أتباع العلمانية هم المؤسسون الحقيقيون للإلحاد، ومن هؤلاء أتباع الشيوعية والوجودية والداروينية.

## (٢) انتشاره:

لم تعرف الأرض انتشاراً للإلحاد، ونفوذاً قوياً له، إلا في العصور المتأخرة، فقد كان يوجد منهم فئامٌ وأشتاتٌ، ولكنهم قلائلٌ، ولا يجمعهم مذهبٌ، أو يُقيدهم فكرٌ، وإنما بحسب ما يعنو للواحد منهم ويظهر، وقد كانوا يسمون قديماً بالدهريين، وحكى الإمام الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل" "أن الدهريين من كفار مكة وغيرها، كانوا أقل الناس، وإنما غلب على أهل مكة وجزيرة العرب الشرك، وعبادة غير الله معه، مع إثبات أنه الخالق وحده، خلافاً للمناويَّة الذين يُثبتون خالقين أحدهما النور وهو خالق الخير، والآخر الظلام وهو خالق الشر". وذكر الدكتور جعفر شيخ إدريس أن أول كتاب مُصرَّح بالإلحاد، وداع له، ظهر في أوروبا في سنة ١٧٧٠م<sup>(١)</sup>، وهذه الفترة الحرجة هي الفترة التي بدأت فيها الشعوب الأوربيَّة تُضحُّ من حكم الكنيسة، وتدعو للثورة عليه، وقد تبنى الفكر الإلحادي في أوروبا كبار الفلاسفة والمؤرخين، من أمثال: نيتشة، وفولتير، وكارل ماركس، وإنجلز، وراسل، وكونت، وغيرهم من كبار الفلاسفة وعلماء الاجتماع والتاريخ، مما حدا للناس إلى الوثوق بهم، والتحول إلى آرائهم، كردة فعل للمواقف المتسلطة للكنيسة، وكذلك ظهور مجموعة من التناقضات بين الدين النصراني المُحرَّف، وبين بعض المخترعات والمكتشفات العلميَّة.

(١) انظر: كتاب (الفيزياء ووجود الخالق. للأستاذ الدكتور/ جعفر شيخ إدريس. ص (١٩).

ومع ظهور بوادر الإلحاد، نشأت العديد من المدارس والمذاهب الفكرية والاجتماعية، والتي تصب في مصب الإلحاد، وتستلهم منه مادتها، وترسخ مبادئه، ومن أشهر تلك المذاهب والمدارس:

- **العلمانية:** وهو مذهب كفري، نشأ في ظروف عصيبة في أوروبا، خلال القرن الثامن عشر، وذلك بسبب طغيان الكنيسة، وتبرم الناس منها ومن نفوذ رجالها، ومُحاربة الكنيسة للعلوم الطبيعية، خاصة بعد تطور ونمو الحركات العلمية والبحوث، وخلاصة العلمانية أنها حركة جديدة تهدف إلى إقصاء الدين عن الحياة، وبناء مؤسسات المجتمع على أصول مادية بحتة، لا دخل للدين فيها من قريب أو بعيد.

- **الوجودية:** وهي مذهب معاصر ذو جذور قديمة، يقوم على أساس إبراز قيمة الفرد، والتأكيد على حرّيته، وأنه هو أساس كل شيء ومنطلقه، وهي مذهب إلحادي، أسسها قديماً كير كجرد، وفي العصر الحاضر قام أبو الوجودية جان بول سارتر بإرساء دعائم هذا المذهب، وإقامة أصوله، وبناءه على الإلحاد والكفر بكل المثل والقيم، وأن للإنسان أن يفعل ما شاء، دون وازع أو رقيب.

- **الشيوعية:** وهي مذهب فلسفي معاصر، أنشأه اليهودي كارل ماركس، يدعو إلى تعظيم المادة، وأنها أزلية، ويُفسر كارل ماركس التاريخ تفسيراً مادياً بحتاً، ولهم شعارات عدة من ضمنها: لا إله والحياة مادة، وقد انتشرت الشيوعية بالقوة والاستعباد، واجتاحت بثورتها أغلب أرجاء الأرض، حتى أذن الله بسقوطها، وبقاء بعض فلولها مشتتة هنا وهناك<sup>(١)</sup>.

- **الوضعية:** وهي مذهب فلسفي إلحادي، يُنكر وجود أي معرفة تتجاوز التجربة الحسية، أسسه أوغست كونت، ودعا حين تأسيسه إلى قيام دين جديد، يقوم على أساس عبادة الإنسانية، وإحلالها محل الأديان.

(١) الشيوعية مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الإقتصادي. ظهرت ألمانيا على يد ماركس وإنجلز، وتجسدة في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار. وقد تضرر المسلمون منها كثيراً، وهناك شعوب محيت بسببها من التاريخ ولكن الشيوعية أصبحت الآن في ذمة التاريخ، بعد أن تخلّى عنها الإتحاد السوفيتي، الذي تفكك بدوره إلى دول مستقلة تخلت كلها عن الماركسية، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق.

- **الداروينية:** نسبة إلى شارلز داروين، أقام مدرسته هذه على أساس أن الأحياء جميعاً لم تُخلق كلُّ واحدةٍ منها خلقاً مُستقلاً، بل كان لها أصلٌ واحدٌ وهو الخليةُ البسيطةُ، ثم أختُ تتطوّرُ وترتقي من طورٍ إلى طورٍ آخر، حتى نشأت البشرىاتُ والإنسانُ، وأن الطبيعةَ هي التي كانت تختارُ الأصلحَ للبقاء، وذلك ما عبّرَ عنه بمصطلح: الانتخاب الطبيعيّ، أو بقاء الأصلحِ، ومدرسةُ داروين تجمعُ في ثناها كبارَ ملاحدةِ العالمِ، والذين يرونَ أن الإنسانَ لا خالقَ له، وأنه وليدُ ملايينِ السنواتِ من التطوّرِ الطبيعيّ، والنشوءِ والارتقاءِ بينَ الأنواعِ المختلفةِ، وبالرغمِ من عدمِ وجودِ أي دليلٍ علميٍّ، يُبتُ صحةُ نظريةِ داروين، إلا أنها اجتاحت العالمَ الغربيَّ اجتياحٍ غريباً، وأثرتُ فيه وفي ثقافته، حتى بدأتُ تنحسرُ في الآونةِ الأخيرة<sup>(١)</sup>.

### (١) الـداروينية.

**التعريف:** تنتسب الحركة الفكرية الداروينية إلى الباحث الإنجليزي تشارلز داروين الذي نشر كتابه "أصل الأنواع" سنة ١٨٥٩م والذي طرح فيه نظريته في النشوء والارتقاء مما زعزع القيم الدينية، وترك آثاراً سلبية على الفكر العالمي.

**التأسيس وأبرز الشخصيات:**

- تشارلز داروين: صاحب هذه المدرسة، وهو باحث إنجليزي نشر في سنة ١٨٥٩م كتابه "أصل الأنواع" وقد ناقش فيه نظريته في النشوء والارتقاء معتبراً أصل الحياة خلية كانت في مستنقع آسن قبل ملايين السنين، وقد تطورت هذه الخلية ومرّت بمراحل منها، مرحلة القرد، انتهاءً بالإنسان، وهو بذلك ينسف الفكرة الدينية التي تجعل الإنسان منتسباً إلى آدم وحواء ابتداءً.

- آرثر كيت: دارويني متعصب، يعترف بأن هذه النظرية لا تزال حتى الآن بدون براهين فيضطر إلى كتابتها من جديد وهو يقول: "إن نظرية النشوء والارتقاء لا زالت بدون براهين، وستظل كذلك، والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر وهذا غير وارد على الإطلاق".

### الأفكار والمعتقدات:

**أولاً: نظرية داروين:** تدور هذه النظرية حول عدة أفكار وافتراضات هي:

- يفترض داروين أن أصل الكائنات العضوية ذات الملايين من الخلايا كائن حقير ذو خلية واحدة.
- تفترض النظرية تطور الحياة في الكائنات العضوية من السهولة وعدم التعقيد إلى الدقة والتعقيد.
- تتدرج هذه الكائنات من الأخط إلى الأرقى.
- الطبيعة وهبت الأنواع القوية عوامل البقاء والنمو والتكيف مع البيئة لتصارع الكوارث وتندرج في سلم الرقي مما يؤدي إلى تحسن نوعي مستمر ينتج عنه أنواع راقية جديدة كالقرد، وأنواع أرقى تتجلى في "الإنسان". بينما نجد أن الطبيعة قد سلبت تلك القدرة من الأنواع الضعيفة فتعثرت وسقطت وزالت. وقد استمد داروين نظريته هذه من قانون "الانتقاء الطبيعي" لـمالتوس.
- الفروق الفردية داخل النوع الواحد تنتج أنواعاً جديدة مع مرور الأحقاب الطويلة.
- الطبيعة تعطي وتحرم بدون خطة مرسومة، بل خط عشوائي، وخط التطور ذاته متعرج ومضطرب لا يسير على قاعدة مطردة منطقية.
- النظرية في جوهرها فرضية بيولوجية أبعد ما تكون عن النظريات الفلسفية.
- تقوم النظرية على أصليين كل منهما مستقل عن الآخر:

١- المخلوقات الحية وجدت في مراحل تاريخية متدرجة ولم توجد دفعة واحدة. وهذا الأصل من الممكن البرهنة عليه.

٢- هذه المخلوقات متسلسلة وراثياً ينتج بعضها عن بعض بطريق التعاقب خلال عملية التطور البطيئة الطويلة. وهذا الأصل لم يتمكنوا من برهنته حتى الآن لوجود حلقة أو حلقات مفقودة في سلسلة التطور الذي يزعمونه.

- تفترض النظرية أن كل مرحلة من مراحل التطور أعقبت التي قبلها بطريقة حتمية، أي أن العوامل الخارجية هي التي تحدد نوعية هذه المرحلة. أما خط سيرها ذاته بمراحل جميعها فهو خط مضطرب لا يسعى إلى غاية مرسومة أو هدف بعيد لأن الطبيعة التي أوجدته غير عاقلة ولا واعية، بل إنها خبط عشواء.

## ثانياً: الآثار التي تركتها النظرية:

- قبل ظهور النظرية كان الناس يدعون إلى "حرية الاعتقاد" بسبب الثورة الفرنسية، ولكنهم بعدها أعلنوا إلحادهم الذي انتشر بطريقة عجيبة وانتقل من أوروبا إلى بقاع العالم.
- لم يعد هناك أي معنى لمدلول كلمة: آدم، حواء، الجنة، الشجرة التي أكل منها آدم وحواء، الخطيئة (التي صلب المسيح ليكفر عنها ويخلص البشرية من أغلالها حسب اعتقاد النصارى).
- سيطرت الأفكار المادية على عقول الطبقة المثقفة وأوحت كذلك بمادية الإنسان وخضوعه لقوانين المادة.
- تخلت جموع غفيرة من الناس عن إيمانها بالله تخلياً تاماً أو شبه تام.
- عبادة الطبيعة، فقد قال داروين: "الطبيعة تخلق كل شيء ولا حدٌ لقدرتها على الخلق". وقال: "إن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت".
- لم يعد هناك جدوى من البحث في الغاية والهدف من وجود الإنسان لأن داروين قد جعل بين الإنسان والقرود نسباً بل زعم أن الجدَّ الحقيقي للإنسان هو خلية صغيرة عاشت في مستنقع رآك قبل ملايين السنين.
- أهملت العلوم الغربية بجمليتها فكرة "الغائية" بحجة أنها لا تهم الباحث العلمي ولا تقع في دائرة عمله.
- استبد شعور باليأس والفتور والضياع وظهرت أجيال حائرة مضطربة ذات حواء روحي.
- طغت على الحياة فوضى عقائدية، وأصبح هذا العصر عصر القلق والضياع.
- كانت نظرية داروين إيذاناً وتمهيداً لميلاد نظرية فرويد في التحليل النفسي، وميلاد نظرية برجسون في الروحية الحديثة، وميلاد نظرية سارتر في الوجودية، وميلاد نظرية ماركس في المادية. وقد استفادت هذه النظريات جميعاً من الأساس الذي وضعه داروين واعتمدت عليه في منطلقاتها وتفسيراتها للإنسان والحياة والسلوك.
- زعم داروين أن الإنسان حيوان كسائر الحيوانات مما هزَّ المشاعر والمعتقدات.
- الإنسان في نظرهم ما هو إلا مرآة تنعكس عليها تقلبات الطبيعة المفاجئة وتخبأتها غير المنهجية.
- "فكرة التطور" أوحت بحيوانية الإنسان، و"تفسير عملية التطور" أوحت بماديته.
- نظرية التطور البيولوجية انتقلت لتكون فكرة فلسفية داعية إلى التطور المطلق في كل شيء تطور لا غاية له ولا حدود، وانعكس ذلك على الدين والقيم والتقاليد. وساد الاعتقاد بأن كل عقيدة أو نظام أو خلق هو أفضل وأكمل من غيره ما دام تالياً له في الوجود الزمني.
- يقول برتراند راسل: "ليس ثمة كمال ثابت ولا حكمة لا تقوم بعدها وأي اعتقاد نعتده ليس بياق مدى الدهر، ولو تخيلنا أنه يحتوي على الحق الأبدي فإن المستقبل كفيلاً بأن يضحك منا".
- استمد ماركس من نظرية داروين مادية الإنسان وجعل مطلبه في الحياة ينحصر في الحصول على "الغذاء والسكن والجنس" مهملًا بذلك جميع العوامل الروحية لديه.
- استمد فرويد من نظرية داروين حيوانية الإنسان وكون منها مدرسته في التحليل النفسي، وقد فسّر السلوك الإنساني معتمداً على الدافع الجنسي الوحيد في ذلك، فالإنسان عنده حيوان جنسي لا يملك إلا الانصياع لأوامر الغريزة وإلا وقع فريسة الكبت المدمر للأعصاب.
- استمد دور كايم من نظرية داروين حيوانية الإنسان وماديته وجمع بينهما بنظرية العقل الجمعي.
- استفاد برتراند راسل من ذلك بتفسيره لتطور الأخلاق الذي تطور عنده من المحرم (التابو) إلى أخلاق الطاعة الإلهية ومن ثم إلى أخلاق المجتمع العلمي.
- والتطور عند فرويد أصبح مفسراً للدين تفسيراً جنسياً: "الدين هو الشعور بالندم من قتل الأولاد لأبيهم الذي حرمهم من الاستمتاع بهم ثم صار عبادة للأب، ثم عبادة الطوطم، ثم عبادة القوى الخفية في صورة الدين السماوي، وكل الأدوار تنبع وترتكز إلى عقدة أوديب".

## ثالثاً: دور اليهود والقوى الهدامة في نشر هذه النظرية:

- لم يكن داروين يهودياً، بل كان نصرانياً، ولكن اليهود والقوى الهدامة وجدوا في هذه النظرية ضالتهن المنشودة فعملوا على استغلالها لتحطيم القيم في حياة الناس.
- تقول بروتوكولات حكماء صهيون: "لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ولا حظوا هنا أن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي سيكون واضحاً لنا على التأكيد".
- نلاحظ السرعة المذهلة التي طبقت بها النظرية وذلك دليل على وجود أصابع خفية مستفيدة من نشرها علماً بأنها كانت وما تزال مجرد نظرية لا تستند إلى براهين.

- التقديس والتمجيد الخارق العجيب لداروين الذي اعتبر محرر الفكر البشري، ووصف بأنه قاهر الطبيعة.  
- ميل الصحف بشكل كامل إلى صفه ضد الكنيسة والتشهير بأعداء النظرية وذلك لأن معظم الصحف تعود ملكيتها لليهود وأتباعهم.

#### رابعاً: نقادها:

- نقدها آغاسيز في إنجلترا، وأوين في أمريكا: "إن الأفكار الداروينية مجرد خرافة علمية وأنها سوف تنسى بسرعة". ونقدها كذلك العالم الفلكي هرشل ومعظم أساتذة الجامعات في القرن الماضي.  
- كرسي موريسون: "إن القائلين بنظرية التطور لم يكونوا يعلمون شيئاً عن وحدات الوراثة "الجينات" وقد وقفوا في مكائهم حيث يبدأ التطور حقاً، أعني عند الخلية".  
- أنتوني ستاندين صاحب كتاب (العلم بقرة مقدسة) يناقش الحلقة المفقودة وهي ثغرة عجز الداروينيون عن سدها فيقول: "إنه لأقرب من الحقيقة أن نقول: إن جزءاً كبيراً من السلسلة مفقودة وليس حلقة واحدة، بل إننا لنشك في وجود السلسلة ذاتها".

- ستيوارت تشيس: "أيد علماء الأحياء جزئياً قصة آدم وحواء كما ترويه الأديان، وإن الفكرة صحيحة في مجملها".  
- أوستن كلارك: "لا توجد علامة واحدة تحمل على الاعتقاد بأن أيّاً من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيره، إن كل مرحلة لها وجودها المتميز الناتج عن عملية خلق خاصة متميزة، لقد ظهر الإنسان على الأرض فجأة وفي نفس الشكل الذي تراه عليه الآن".  
- أبطل باستور أسطورة التوالد الذاتي، وكانت أبحاثه ضربة قاسية لنظرية داروين.

#### خامساً: الداروينية الحديثة:

- اضطرب أصحاب الداروينية الحديثة أمام النقد العلمي الذي وُجّه إلى النظرية، ولم يستطيعوا أمام ضعف نظريتهم إلا أن يخرجوا بأفكار جديدة تدعيها لها وتدليلاً على تعصبهم الشديد حيالها، فأجروا سلسلة من التبديلات منها:  
• إقرارهم بأن قانون الارتقاء الطبيعي قاصر عن تفسير عملية التطور واستبدلوه بقانون جديد أسموه قانون التحولات المفاجئة أو الطفرات، وخرجوا بفكرة المصادفة.  
• أرغموا على الاعتراف بأن هناك أصولاً عدة تفرعت عنها كل الأنواع وليس أصلاً واحداً كما كان سائداً في الاعتقاد.  
• أجبروا على الإقرار بتفرد الإنسان بيولوجياً رغم التشابه الظاهري بينه وبين القرد، وهي النقطة التي سقط منها داروين ومعاصروه.

كل ما جاء به أصحاب الداروينية الحديثة ما هو إلا أفكار ونظريات هزيلة أعجز من أن تستطيع تفسير النظام الحياتي والكوني الذي يسير بدقة متناهية بتدبير الحكيم "الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى".  
- لقد عرفت هذه الفكرة قبل داروين، وقد لاحظ العلماء بأن الأنواع المتأخرة في الظهور أكثر رقياً من الأنواع المتقدمة ومن هؤلاء: راي باكسون، لينو.

- قالوا: "بأن التطور خطة مرسومة فيها رحمة للعالمين" ولكن نظريتهم وصفت بأنها لاهوتية فنسيت داخل معامل الأحياء.

#### الجذور الفكرية والعقائدية:

- استوحى داروين نظريته من علم دراسة السكان، ومن نظرية مالتوس بالذات. فقد استفاد من قانونه في الانتخاب أو الانتقاء والذي يدور حول إفناء الطبيعة للضعفاء لمصلحة الأقوياء.  
- استفاد من أبحاث "ليل" الجيولوجية حيث تمكن من صياغة نظرية ميكانيكية للتطور.  
- صادفت هذه النظرية جواً مناسباً إذ كان ميلادها بعد زوال سلطان الكنيسة والدين، وبعد الثورة الفرنسية والثورة الصناعية حيث كانت النفوس مهياً لتفسير الحياة تفسيراً مادياً بحتاً، ومستعدة لتقبل أي طرح فكري يقودها إلى مزيد من الإلحاد والبعد عن التفسيرات اللاهوتية، مصيبة كانت أم مخطئة.

#### الانتشار ومواقع النفوذ:

بدأت الداروينية سنة ١٨٥٩م، وانتشرت في أوروبا، انتقلت بعدها إلى جميع بقاع العالم، وما تزال هذه النظرية تدرس في كثير من الجامعات العالمية. كما أنها قد وجدت أتباعاً لها في العالم الإسلامي بين الذين تربوا تربية غربية، ودرسوا في جامعات أوروبية وأمريكية.

وهناك العديد من المدارس غير ما ذكر، وكذلك النظريات، سواء ما كان منها علمياً بحتاً، أو اجتماعياً، أثرت أو تأثرت بالإلحاد، وقامت بترسيخ مفاهيمه، ودعت إليه. ومن المؤسف حقاً، أن الإلحاد حينما صيغ الحياة العامة في أوروبا، أصبح أمر التدوين، والتمسك بدين، أو الإيمان بالخالق، شيئاً غريباً!، وظاهرة تدعو إلى العجب!، بعد أن كانت هي السائدة على نظام الحياة، ومؤسسات الحكم، وإن كان ثم شيء يدعو إلى التعجب والاستغراب، فهو انتشار الإلحاد في تلك الفترة، وانحسار الإيمان بالله، وتعلق الناس بالمادة والطبيعة، ووصفهم للدين بأنه تخلف ورجعية<sup>١</sup>.

لقد أصبح الإلحاد اليوم ظاهرة عالمية، فالعالم الغربي في أوروبا وأمريكا - وإن كان وارثاً في الظاهرة للعقيدة النصرانية التي تؤمن بالبعث والجنة والنار - إلا أنه - في الأغلب - ترك هذه العقيدة الآن وأصبح إيمان الناس هناك بالحياة الدنيا فحسب، وأصبحت الكنيسة مجرد تراث تافه جداً. وقد أصبح الإلحاد هو الدين الرسمي المنصوص عليه في كل دساتير البلدان الأوروبية والأمريكية، ويعبر عن ذلك بالعلمانية تارة، وباللادينية تارة أخرى، وكل ذلك يعني الإلحاد والكفر بالله تعالى. وفي الشرق فقد كانت تقوم أكبر دولة على الإلحاد، وهي الدولة الروسية سابقاً، التي تحمل العقيدة الشيعية، التي تحمل في بنودها رفض الغيب كله، والنظر إلى الحياة كلها وفي جميع الجوانب من منظور مادي بحت. وأن صراع الإنسان في هذه الحياة إنما هو من أجل العيش والبقاء فقط.

### (٣) أسباب الإلحاد<sup>(١)</sup>:

لقد انتشر الإلحاد ومد رواقه في كثير من بلدان العالم، ومنذ مائتي عام لم تكن مشكلة الإلحاد بهذه الحدة والانتشار، ولكن في القرنين الأخيرين ظهرت عوامل عديدة جعلت من الإلحاد والكفر بالله ديناً عاماً منتشراً. وتلك العوامل منها ما يعود إلى المجتمع الذي عاشت فيه، ومنها ما يعود إلى شخصيات مؤسسيها المنحرفة. وفيما يلي ذكر لشيء من تلك الأسباب بإجمال؛ إذ المقام ليس مقام بسطها، فمن ذلك:

١ / الطغيان الكنسي: فالطغيان الكنسي، كان سبباً مباشراً في نشر الإلحاد والزندقة، وذلك أن القائمين على الكنائس أدخلوا في دينهم كثيراً من الخزعبلات والخرافات وجعلوها عقائد دينية، كتأليه عيسى عليه السلام، وإنكار الكنيسة للنهضة العلمية الحضارية، ومحاربة العلم والعقل، وإعانة الحكام الظلمة، وفرض على الناس الضرائب والعشور على الناس، وما إلى ذلك مما قامت به الكنيسة الأوروبية. ثم لما تطور العلم ورد العلماء على الكنيسة أصبح الناس يتهمون الكنيسة بالكذب، وأصبح لديهم الكراهية لكل عقيدة تنادي بالإيمان بالغيب، وإتهام الرسل بالكذب.

(١) انظر: الإلحاد: أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها.



٢ / مظالم العالم الرأسمالي: فقد حصل أهل الإقطاع على الثروات الضخمة، واستغلوا العمال استغلالاً فاحشاً، فظهرت الطبقات المتفاوتة من رأسماليين جشعين إلى عمال فقراء مظلومين، ومن ثم كثرت المشكلات في المجتمع الأوروبي، وفقد التوازن فيه اجتماعياً واقتصادياً، وكانت مساندة رجال الدين الكنسي أو سكوتهم عنه سبباً جديداً في انتشار الإلحاد والشك عياداً بالله.

٣) ظهور المذاهب الاقتصادية الإلحادية: وخاصة التي بشر بها كارل ماركس (اليهودي الألماني الذي بنصر والده)، فزعموا أن الحياة مادة فقط، وأن ظهور الدين من فعل الأغنياء ليستغلوا الفقراء.

٤) اقتران الإلحاد بالقوة المادية. وذلك أن أوروبا لم تتقدم وتمتلك القوة المادية إلا بعد أن تركت أفكار الكنيسة وعقائدها. ولهذا ظهرت شعارات: (الدين أفيون الشعوب)، و (الحرب بين الدين والعلم)، و (فصل الدين عن الدولة)، و (فصل الدين عن الحياة).

٥) ملذات الحياة، ومباهج الحضارة، ونسيان الخالق؛ فلقد فتح العلم المادي أبواباً عظيمةً من أبواب الرفاهية والترفيه، فالمراكب الفارهة الفخمة من سيارات، وقطارات، وبواخر وطائرات، كذلك الملابس، والمطاعم، ووسائل التسلية، كل ذلك جعل الغفلة تستحكم على النفوس ولا تشعر بالعاقبة، مما فتح المجال لترويج أي مبدأ. فظن بعض الناس أن الإسلام قد وضع قيوداً على حريتهم، وحجراً لشهواتهم وملذاتهم، فزادوا لذلك بعداً عن الدين، وكرهية لمن يذكرهم بالآخرة، وبذلك ازدادت غربة العقائد الدينية وانتشرت عقائد الإلحاد.

٦) دوامة الحياة: فقد انشغل الناس بالملهيات والمغريات الدنيوية الحديثة، فبدأ الإنسان المعاصر يعمل ويكدح ليلاً ونهاراً لا يفكر في نفسه ومصيره.

٧ / غياب المنهج الصحيح؛ وهو دين الإسلام عن الساحة التي نشأ فيها الإلحاد، وتقصير المسلمين في أداء رسالتهم في قوامة المجتمع البشري، وانتشاله من الهاوية.

٨ / كثرة الاتجاهات، والنظريات، والمباني التي وجدت في المجتمع الأوروبي.

٩ / الخواء الروحي لدى أوروبا؛ إذ الكنيسة لا تقدم منهجاً يزكي النفس، ويجلب السعادة والطمأنينة للأفراد والمجتمعات؛ مما جعل النفوس تتعلق بخيط العنكبوت، وتتشبث بعود الثمام؛ لتنجو مما هي فيه من الحيرة، والاضطراب، والقلق.

١٠ / الاستعمار وما خلفه من دمار؛ فله أثره الواضح في انحطاط الشعوب المستعمرة، وذلك عن طريق الكتب، وقفل باب الحرية، الأمر الذي أفسح المجال للإلحاد.

١١ / المكر اليهودي على العالم كله، وتآمره عليه لإفساده؛ تمهيداً للسيطرة عليه، حيث استغلوا هذه المذاهب ومكنوا لها. وقد حرص اليهود على نشر الإلحاد في العالم كله، بعدة طرق، منها:

أ) نشر العلمانية لإفساد أمم الأرض بالمادية المفرطة والانسلاخ من كل الضوابط التشريعية والأخلاقية، كي تهدم هذه الأمم نفسها بنفسها.

(ب) نشر نظريات ماركس في الاقتصاد.

(ت) التفسير المادي والتاريخ.

(ث) نشر نظريات فرويد في علم النفس.

(ج) نشر نظرية دارون في أصل الأنواع.

(ح) نشر نظرية دور كايم في علم الاجتماع.

وكل هذه النظريات من أسس الإلحاد في العالم.

٩ / الانقلاب الصناعي، وما يقوم به الشيوعيون من بحثٍ علميٍّ جادٍّ مستندٍ على أدلةٍ مغريةٍ تقول: بأن الدين خرافة. هذه أهم الأسباب البارزة لوجود ظاهرة الإلحاد وانتشارها، نسأل الله العافية والسلامة.

#### ٤) كيف دخل الإلحاد بلاد المسلمين؟

وبالرغم من أن العالم الإسلامي بدأ يصحو من غفلته نوعاً ما إلا أن موجة الإلحاد العارمة تطغى عليه من كلا جانب، وتشكك أبنائه في دينهم وعقيدتهم.

لقد دخل الإلحاد في كثير من بلاد المسلمين وما كان له أن يدخل، إلا أن هناك أسباباً عديدة مكنت لدخوله في بلاد المسلمين منها:

١ / انحراف كثير من المسلمين عن دينهم، ونسيانهم حظاً مما ذكروا به، وإلا فإن الصبر والتقوى كفيلا نبرد كل باطل: {وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً}. [آل عمران: ١٢٠].

٢ / هزيمة العالم الإسلامي أمام الهجمة الأوروبية، فما كاد الأوروبيون يمتلكون القوة المادية، ويستخدمون الآلة، ويننون المصانع - حتى اتجهوا إلى دول العالم الثالث؛ بحثاً عن الأسواق لبيع منتجاتهم الصناعي، وجلباً للمواد الخام اللازمة للصناعة.

ولما كانت هذه الدول تطمع في الحصول على ما تريد بأبخس الأثمان، أو بلا ثمن أصلاً - فإنها استخدمت قوتها العسكرية.

ولما كان العالم الإسلامي في غاية التخلف عسكرياً، وسياسياً وصناعياً - لم يصمد أمام تلك الهجمة، وكان للهزيمة العسكرية أثرها في زعزعة العقيدة، ووجود الشعور بالنقص، وتقليد الغالب، والتشبه بأخلاقه؛ ظناً منهم - لفرط جهلهم - أن أوروبا لم تتطور إلا عندما اعتنقت الإلحاد، ورفضت الدين.

٣ / الاستعمار الغربي لكثير من بلاد المسلمين؛ فلقد عانى المسلمون من الاستعمار وويلاته، حيث امتص الغرب دماء المسلمين، وخيراتهم، وأوطانهم.

- ٤ / تركيز الغرب على إفساد التعليم، والإعلام، والمرأة، وتشويه صورة علماء المسلمين، مع الحرص على نشر الفوضى الجنسية، والإباحية والعري، حيث غرق كثير من الشباب في هذا المستنقع الآسن، والإلحاد لا يُفْرَخ إلا في مثل هذا الجو.
- ٥ / انحسار عقيدة الولاء والبراء عند كثير من المسلمين.
- ٦ / انتشار الجهل بدين الإسلام.
- ٧ / انتشار المذاهب الهدامة، والفرق الضالة، والطرق الصوفية المخذلة؛ التي تقوم على الدجل، والخرافة، وعبادة القبور والمبالغة في قصص الكرامات، كل ذلك استغله الملاحدة، ونفذوا من خلاله إلى الطعن في الدين.
- ٨ / الابتعاث وما فيه من مفاسد؛ حيث يذهب إلى بلاد الكفر مَنْ هو خالي الوفاض في الغالب، فلا علم لديه، ولا ورع يزمه، ولا تقوى تردعه، فيعيش في تلك البلاد ويتأثر بما فيها من أفكار وأخلاق.
- ٩ / التقصير في جانب الدعوة إلى الله.
- ١٠ / سقوط الخلافة الإسلامية.
- ١١ / ترك فريضة الجهاد، والركون إلى ملذات الدنيا، والإخلاق إلى الراحة.

## ٥) تأريخ انتشار الحركات الإلحادية في العالم الإسلامي.

الكلام عن حركات الإلحاد المنظمة في العالم الإسلامي والعربي، وكذلك المجاهرةُ به، وإعلانهُ على الملأ، نشأ بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، حينما بدأ العالم الإسلامي والعربي، يتصل بالعالم الغربي، عن طريق إرساليات الدراسة، أو التدريب، وتسبب ذلك في رجوع مجموعة من الطلاب متأثرين بالفكر الأوربي المادي، والذي كان يقوم على أساس تعظيم علوم الطبيعة، ورفع شأن العقل، وكذلك تنحية الدين والشرع، عن حكم الحياة والناس وإدارة شئونهم.

في بداية الأمر لم يكن ثم دعوة صريحة للإلحاد أو الردة، وإنما كانت هناك دعوات للتحرر، أو التغريب، أو فتح المجال أمام العقل، ومحاكمة بعض النصوص الشرعية إلى العقل أو الحس والواقع، ومحاولة إنشاء خلاف وهمي، وصراع مُفتعل، بين العقل والشرع.

ومع مرور الوقت، وزيادة الاتصال بالغرب وتراثه، وانتشار موجة التغريب بين الناس، ظهرت بعض الدعوات الصريحة للإلحاد وفتح باب الردة، باسم الحرية الفردية.

وحينما نشط اليهود في تركيا، ودعوا إلى إقامة قومية تركية، نُحِلَّ محلَّ الرابطة الدينية، ظهرت مظاهر عدّة في الواقع، تدعو إلى نبذ الدين، وتظهر العداء لبعض شعائره، ومع مرور الوقت، تطوّرت هذه الحركة، حتى جاء مصطفى كمال أتاتورك، وقام بإلغاء الخلافة، وأنشأ الدولة التركية العلمانية، وحارب جميع العلماء وسجنهم، وراج على

إثر ذلك الكفر والإلحاد، وظهرت عدة كتب تدعو إلى الإلحاد، وتطعن في الأديان، ومنها كتاب بعنوان "مصطفى كمال"، لكتاب اسمه قابيل آدم.

هذه الجرأة في تركيا قابلها جرأة مماثلة، في مصر، سُميت ظلماً وزوراً عصر النهضة الأدبية والفكرية، بينما هي في حقيقتها حركة "تغريبية"، تهدف إلى إلحاق مصر بالعالم الغربي، والتخلُّق بأخلاقه، واحتدائها في ذلك حدو تركيا، التي خلعت جلاب الحياء والدين، وصبغت حياتها بطابع العلمانية والسفور والتمرد.

في تلك الحقبة في مصر، ظهر العديد من المفكرين والأدباء، يدعون إلى التغريب والإلحاد، وفتح باب الردة، باسم التنوير تارة، وباسم النهضة الأدبية تارة أخرى، ومرة باسم الحريات الفكرية، وتلققت مصر - في تلك الفترة - دون تمييز، جميع أمراض المجتمع الأوربي، وكذلك أخلاقه المنحلة، وأصبحت قطعة من أوروبا، ومن فرنسا تحديداً، وعاث في أرضها بعض المستشرقين فساداً وإفساداً، ثم سلّموا دفعة الإفساد إلى بعض المصريين، ممن لم يتوانوا في نشر الكفر والإلحاد، وسعوا سعياً حثيثاً إلى إلغاء الفضيلة والأخلاق الإسلامية، وإحلال النفعية والمادية محلها، حتى أصبح دُعاة الإسلام والمحافظة غرباء على المجتمع دُخلاء عليه، ويوصفون بالجمود والتخلف والعداء للحضارة!!.

وبما أن مصر هي رثة العالم في ذلك الوقت، فقد انتقلت حمى الردة والإلحاد، إلى جميع دول الجوار، ابتداءً من الشام، ومروراً بالعراق، والخليج، بما فيها السعودية، وانتهاءً ببلاد اليمن.

وسأذكر الآن بعض أشهر الملاحدة والمرتدين، الذين نبذوا الدين جانباً، واستبدلوا به الإلحاد أو اللادينية أو كفروا بكل شرائع الإسلام، من الذين كانوا في تلك الفترة، أو بعض من يعيش في عصرنا الحاضر، والذين أعمالوا معاول الهدم والتخريب، في الأخلاق والدين، وأرادوا جعل المجتمعات نماذج مكررة من الدول الأوربية المنحلة الفاسدة، وحاولوا صُنع فجوة بين العلم والدين، وأوهموا أن الدين يُعارض العلم والواقع، ويقف دون الانطلاق إلى آفاق جديدة، ويُحرّم الإبداع، ويدعو إلى الكهنوتية والتفوق.

فمن أشهرهم:

- جميل صدقي بن محمد بن فيضي الزهاوي، شاعر من شعراء العراق، وُلد سنة ١٢٧٩ هـ في بغداد، وكان أبوه مُفتي بغداد في تلك الفترة، وقد تنقل كثيراً في المناصب والوظائف، وهو أحد أعمدة التشكيك في شعره وآراءه، وقد كان ينحى منحى الفلاسفة، ويُقرّر طريقة الفلاسفة في التعامل مع الأديان، ومع الغيبات، حتى سمّاه الناس زنديقاً!، وقد كان من المفتونين بالعالم المادي، وبالظواهر الطبيعية، مُعظماً لها، وصنّف في ذلك الكثير من الرسائل والكتب.

- إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل، والمعروف اختصاراً بإسماعيل أدهم، أحد أبأس الملاحدة، وأشقاها، وأكثرهم مأساوية وشقاء، كان من دُعاة الشعبوية، تنقل في الدراسة بين مصر وتركيا وروسيا، وتخصّص في الرياضيات،

وحصلَ على شهادة الدكتوراه فيها، وكتبَ وألّفَ العديدَ من الرسائلِ، وفي سيرته أشياء كثيرةٌ من نبوغه وتقدمه، منها أنه كانَ يعرفُ العديدَ من اللغاتِ، وكذلك حصلَ على العديدِ من الشهاداتِ العلميّةِ، وبعدَ موته حصلَ تشكيكٌ كثيرٌ في ذلكَ وتكذيبٌ لها، وقد طعنَ فيه الناسُ في حياته وبعدَ موته، وشكّكوا كذلكَ في رسائله وبجوثه، وهو أحدُ كُتّابِ مجلّةِ الرسالةِ والمقتطفِ المصريّينِ، وقد كانَ من دعاةِ الإلحادِ، يطعنُ في المسلّماتِ، ويُشكّكُ في الكثيرِ من الأمورِ، وألّفَ رسالةً أسماها "لماذا أنا ملحدٌ"، طُبعتْ في مصرَ بمطبعةِ التعاونِ سنةَ ١٩٣٧ م، أصيبَ بالسلِّ، وتعبَ من الحياةِ، فأثرَ الموتَ منتحراً غرقاً في الاسكندرية سنةَ ١٩٤٠ م، وعثرَ البوليسُ في جيبِ معطفه على رسالةٍ يذكرُ فيها أنه ماتَ منتحراً، كراهيةً في الحياةِ، وطالبَ فيها كذلكَ بإحراقِ جُثتهِ، وعدمِ دفنها بمقابرِ المسلمينَ، وأن يُشرّحَ رأسه!، نعوذُ باللهِ من الخذلانِ والهوانِ!.

ترجمة مفصلة لحياته: في مساء الثالث والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٤٠م وجدت جثة "إسماعيل أدهم" طافية على مياه البحر المتوسط، "وقد عثر البوليس في معطفه على كتاب منه إلى رئيس النيابة يخبره بأنه انتحر لزهده في الحياة وكراهيته لها، وأنه يوصي بعدم دفن جثته في مقبرة المسلمين ويطلب إحراقها" (١)!! فمن هو إسماعيل هذا الذي آثر هذه النهاية المروعة؟!

يقول عنه صاحب الأعلام: "إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم باشا أدهم: عارف بالرياضيات، له اشتغال بالتاريخ، ولد بالإسكندرية وتعلم بها، ثم أحرز الدكتوراه في العلوم من جامعة موسكو عام ١٩٣١، وعين مدرساً للرياضيات في جامعة سان بطرسبرج، ثم انتقل إلى تركيا فكان مدرساً للرياضيات في معهد أتاتورك! بأنقرة، وعاد إلى مصر سنة ١٩٣٦ فنشر كتاباً وضعه في "الإلحاد" وكتب في مجلاتها، أغرق نفسه بالإسكندرية منتحراً" (٢).

قلت: تأثر إسماعيل أدهم بالمد الشيوعي الإلحادي بسبب إدمانه قراءة إنتاج القوم حتى علقت أفكارهم بعقله وتمكنت من قلبه؛ فألّفَ إثر ذلك - كما سبق - رسالة سماها "لماذا أنا ملحد؟" (٣) ! جاء فيها: قوله عن نفسه: "أسست جماعة لنشر الإلحاد بتركيا، وكانت لنا مطبوعات صغيرة أذكر منها: ماهية الدين، وقصة تطور الدين ونشأته... وبعد هذا فكرنا في الاتصال بجمعية نشر الإلحاد الأمريكية، وكانت نتيجة ذلك تحويل اسم جماعتنا إلى الجمع الشرقي لنشر الإلحاد" (٤).

وقد رد على رسالته هذه: الدكتور أحمد زكي أبو شادي برسالة عنونها: "لماذا أنا مؤمن؟" (٥). ورد عليها: محمد فريد وجدي بمقالة عنونها "لماذا هو ملحد؟" (٦).

انتحر إسماعيل مظهر وله من العمر تسعة وعشرون سنة؛ أي في ريعان شبابه، فكانت نهايته نهاية مأساوية لشاب مسلم موهوب، قال عنه الأستاذ أحمد حسن الزيات: "كان شديد الذكاء.. واسع الثقافة" (٧). وقال عنه الأستاذ محمد عبد الغني حسن بأنه صاحب "ذهن متوقد لامع" (٨) كان الأول على دفعته في البكالوريا (٩)، ثم حاز الدكتوراه وألّفَ مؤلفات كثيرة، ودرّس، وكان يحسن التحدث بست لغات (١٠)، كل هذا وهو في هذا العمر

الصغير.. إلا أنه بعدها اختار الكفر على الإيمان، وتدرج في مهاوي الضلال إلى أن وصل إلى آخر دركاته وهي الإلحاد—والعياذ بالله— لتكون خاتمة في تكلم الجثة الطافية على مياه البحر آية لمن خلفه من شباب الإسلام الناهمين أن لا يفتروا بذكائبهم ومواهبهم، فيخوضوا—لأجلها— ذات اليمين وذات الشمال واثقين—زعموا!— من أنفسهم، معرضينها للفتن والإنسلاخ من الدين؛ إما بإدماهم العكوف على كتب أهل الضلال والحيرة والشك كشأن أدهم، أو بمصاحبتهم وألفتهم ومن يشككهم في دينهم ويهون عليهم الطعن فيه أو التحير من بعض شرائعه، مجانبين في ذلك أهل الإيمان ساخرين من نصائحهم، لازمينهم بالتحجر وضيق الأفق!، ومبتعدين رويداً رويداً عن الصراط المستقيم؛ خشية أن يقول قائلهم—ولو بعد حين—: "لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذين نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لي.."(١١)!

وإسماعيل أدهم مجرد أمودج سقته للإعتبار بحاله حيث ارتد على دبره بعدما جاءه الهدى واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وإلا فإن الأمثلة من تاريخنا القديم والحديث معلومة مشهورة.

فمن القديم مثلاً: ابن الراوندي الملحد الذي انتهى حاله إلى أن ألف كتاباً سماه "الدامغ" يزعم أنه يدمغ به القرآن!! دمهغه الله. فهذا الرجل ذكر المؤرخون عنه أنه "كان في أول أمره حسن السيرة، كثير الحياء، ثم انسلخ من ذلك"(١٢) وذكروا—أيضاً— شيئاً من ذكائه وعقله، ولكن كما قال الذهبي في ترجمته "لعن الله الذكاء بلا إيمان، ورضي الله عن البلادة من التقوى"(١٣)!

والذي يهمننا من ترجمته هو قول الذهبي عنه: "كان يلزم الرافضة والملاحدة، فإذا عوتب قال: إنما أريد أن أعرف أقوالهم"(١٤)!! فكان نهاية هذا التهاون في الجلوس مع المبتدعة والملحدين أن أصبح واحداً منهم، بل أجراً على حرمان الله.

- إسماعيل مظهر بن محمد بن عبدالمجيد، كان أحد دعاة الداروينية في العصر الحاضر، ومن دعاة الشعوبية، أنشأ مجلة العصور في مصر وذلك في سنة ١٩٢٧ م، وجعل من مجلته باباً للطعن في الدين، ونشر الشعوبية، وفتح باب الردة والإلحاد، كان معظماً لليهود، وداعياً للسيرة على نهجهم وطريقتهم، وكان يُسمي نفسه: صديق دارون، وألف في الانتصار لنظرية داروين مجموعة من المؤلفات، ثم اعتنق الفكر الشيوعي، وأنشأ حزباً أسماه حزب الفلاح، جعله منبراً لنشر الشيوعية والاشتراكية، ثم في آخر عمره أعرض عن كل ذلك، ورجع عن الكثير من آرائه، وألف كتاباً أسماه "الإسلام لا الشيوعية"، وقد كانت وفاته سنة ١٣٨١ هـ بينما ميلاده سنة ١٣٠٨ هـ.

- أحمد لطفى بن السيد أبي علي، أحد دعاة التغريب الكبار، من المعادين للعالم الإسلامي، وأحد الذين يُحاربون الفصحى، ويُحاربون الرابطة الدينية، ولهُ مواقف تدلُّ على كرهه الشديد للتعاليم الدينية، وللتدين عموماً، وهو من دعاة العلمانية البارزين، وهو الذي قام بترجمة كتب أرسطو إلى اللغة العربية، فاتحاً باباً جديداً للتغريب، ولم يكن

يقصدُ من ذلك نشرَ المعرفة والعلمِ ، وإثماً أرادَ نشرَ الثقافةِ الغربيَّةِ، وأصولهم المعرفيَّةَ ، حتى يتعدَّ المسلمونَ عن دينهم، ويقتفون أثرَ الغربِ، وكانتْ له مواقفٌ محزيةٌ ، منها أنَّه سافرَ إلى إسرائيلَ، وألقى محاضرةً في الجامعةِ العبريَّةِ، وكانَ أحدَ من استقبلَ الوفدَ اليهوديَّ بمصرَ، وضيَّفهم عندهُ، وله مواقفٌ سافرةٌ يدعو فيها إلى التعاونِ مع البريطانيينِ إبانَ احتلالهم لمصرَ، ويحثُّهم عن المسوغاتِ والمبرراتِ لسياساتهمِ الاحتلاليَّةِ، ويسمِّيهِ بعضهم أستاذَ الجيلِ ، وتولَّى آخرَ عمره رئاسةَ مجمعِ اللغةِ العربيَّةِ بالقاهرةِ وظلَّ رئيساً لها مدَّةَ ١٨ عاماً، وقد توفِّي سنةَ ١٣٨٢ هـ بالقاهرةِ، بينما كانَ مولدهُ سنةَ ١٢٨٨ هـ.

- طه بنُ حسينِ بنِ عليِّ بنِ سلامةَ ، الأديبُ المصريُّ الشهيرُ، وأحدُ روادِ ما يُسمَّى بالنهضةِ الأدبيَّةِ في مصرَ، ومن كبارِ التغريبيينِ، وأحدِ أعمدةِ مدرسةِ التشكيكِ، لم يكنِ يؤمنُ بشيءٍ إلا الغربَ وقيمهَ وتعاليمهَ، كانَ مُتشككاً وحائراً، ووصفَ فتحَ المسلمينَ لمصرَ بأنَّه احتلالٌ غاشمٌ!، ودعا إلى تحريرِ وتجریدِ مصرَ من هويَّتها العربيَّةِ والإسلاميَّةِ، وهو من الذين يقفونَ موقفاً عدائياً ضدَّ جميعِ حركاتِ المقاومةِ الشعبيَّةِ، ضدَّ المحتلِّ والغازي، بل كانَ يدعو الأوربيينَ لاحتلالِ العالمِ العربيِّ، حتى يستفيدَ العربُ من علومهم وتطورهم، وقد أشيعَ أنَّه تنصَّرَ في فرنسا، وزوجتهُ فرنسيَّةٌ، وهو كذلكَ أحدُ أخلصِ طلابِ وأتباعِ مرجليوث اليهوديِّ الحاقِدُ على الدينِ، ولطه حسينِ مواقفٌ معاديةٌ للدينِ وأهلهِ، كقرهَ فيها جمعٌ غفيرٌ من العلماءِ، وأصولهُ أصولُ الملاحدةِ في أكثرِ ما يكتبهُ وينشرهُ، توفِّي سنةَ ١٣٩٣ هـ، بينما كانت ولادتهُ سنةَ ١٣٠٧ هـ.

- صادق جلال العظم: أحدُ أساطينِ الفكرِ الشيوعيِّ الماديِّ، ومُلحدٌ من كبارِ الملاحدةِ، ممَّن أخذَ يُجاهرُ بالإلحادِ، ويدعو إليه، قضى عمره في السخريَّةِ من المسلمينَ ومن دينهم، وكفرَ بكلِّ شيءٍ إلا المادَّةَ، وألَّفَ كتاباً يقرُّرُ فيه الإلحادَ أسماءَ " نقد الفكرِ الدينيِّ "، وقد حشاهُ بالمغالطاتِ والسفسطةِ، وزعمَ أنَّه أقامَ فيه براهينَ تُبطلُ عدمَ وجودِ الله، وأنَّ كلَّ ذلكَ من الأوهامِ والأساطيرِ، وقد ردَّ عليه الكثيرونَ، من أشهرهم الشيخُ: عبدالرحمن حبنكة الميداني، في كتابه " صراعٌ مع الملاحدةِ حتى العظمِ ".

- عبد الله بنُ عليِّ القصيميُّ: أحدُ أشهرِ الملاحدةِ المعاصرينَ، وأكثرهم غلواً وتطرُفاً، وأوقحهم جرأةً وتبجحاً، وأقساهم عبارةً، وأقلَّهم أدباً، كانَ قبلَ إلحادهِ صاحبَ علمٍ، وقد كتبَ في شبابهِ مجموعةً من الكتبِ والبحوثِ العلميَّةِ، كانَ بعضها بطلبِ علامةِ الحجازِ الشيخِ: محمد حسين نصيف - رحمه الله -، ومن أشهرها كتابه " الصراعُ بين الوثنيَّةِ والإسلامِ "، وقد ألَّفَ الجزءَ الأوَّلَ منه في وقتٍ يسيرٍ جدًّا، وقد طُبِعَ في المكتبةِ السلفيَّةِ، وله كتبٌ أخرى في فترتهِ تلكَ، ولا تخلو كتبهُ من لغةِ الكبرياءِ والغرورِ، وظهورِ سقطاتٍ تدلُّ على سوءِ طويَّةِ، واحتقارٍ للناسِ، وهذا ما ظهرَ مع مرورِ الزمنِ، إذا قامَ بإعلانِ رَدِّتهِ وإلحادهِ، وألَّفَ كتابهُ " هذه الأغلالُ "، وجاهرَ بدعوتهِ

الجديدة، ولقي أذىً كثيراً، وخرج متغرباً بين البلدان، وعاش في حيرة وقلق كبيرين، دعتُهُ إلى محاولة الانتحار ثلاث مرات، واستقر آخر حياته بمصر، وألف مجموعة كبيرة من الكتب الداعية للتحرر من سلطة الدين والفضيلة والأخلاق، وله منهجٌ غلاب في كثير، حتى تحاماه الناس وأعرضوا عنه بسببه، وهو من دعاة الصهيونية العرب، وله مقالاتٌ وعبارةٌ بشعة في حق الله وحق رسله، لم تصدر إلا من أوقع الناس وأحببهم قلباً وسريرةً، فلعنهُ الله ما كان أقسى قلبه وأشدَّ حرأته على خالقه ومولى نعمه!، من أكثر كتبه تطرفاً كتابه "أيها العقل من رآك؟" وكتاب "الإنسان يعصي لهذا يصنع الحضارات"، توفي سنة ١٤٢٢ هـ بالقاهرة، بينما كانت ولادته سنة ١٣٢٧ هـ.

- زكي نجيب محمود: فيلسوفٌ مصريٌّ معاصرٌ، من روادِ المدرسة الوضعية المنطقية المُلحدة، والتي أسَّسها أوجست كونت، ومن زعماءِ التغريب في العالم العربي، وقد حمل لواءها بعد هلاك طه حسين، وعمل على إرساء دعائمها، محارباً كل دعوةٍ للتمسك بالتراث الأصيل، وداعياً إلى بتر العلاقة بين الشعوب، وبين ماضيها، وله مصنفٌ في الغيب سَمَّاهُ "خرافة الميتافيزيقيا"، أنكر فيه الغيبات، ودعى إلى تقديس العقل، واعتباره أساس المعرفة، كما أن له كتاباتٍ تدعو إلى أحياء فكر الباطنية والشعبوية، وقد تقلد عدة مناصب في حياته، وتولَّى رئاسة بعض المجالات، توفي سنة ١٤١٤ هـ، بينما كانت ولادته في سنة ١٣٢٣ هـ.

- عليُّ بن أحمد بن سعيد المعروف بأدونيس: صنمُ الحداثة المعاصر، ورأسها في العالم العربي، وأحدُ الملاحدة المشاهير، تسمى باسم أدونيس، وهو أحدُ أصنام الفينيقيين، كان في أول أمره نصيرياً، ثم أنتحل الطريقة الشيوعية، وأعلن إلحاده، وهو من دعاة الحداثة الكبار، وله مؤلفاتٌ تضجُّ بالكفر الصراح، وبالإلحاد والكفر بكل شيء، مع ما فيها من الجرأة السافرة، والتناول المقيت على ذات الله جلَّ وعلا.

- فهد بن صالح بن محمد العسكر: شاعرٌ كويتيٌّ ماجنٌ، وداعيةٌ إلى التمرد على الأخلاق والفضيلة، ومن كبار المشككين والساخرين بالأديان في شعره، نشأ وترعرع في كنف أبيه، وكان في شبابه محافظاً، ثم قرأ في مجموعة من الكتب والدواوين الفكرية، مما أوجب لديه الحيرة والشك، فمال معها، وتعاطى الخمر وأدمنها، وطفح شعره بالكفر والاستهزاء والعهر والجون، ولما زاد أمره واستفحل تبرأ منه أهله، فاعتزل الناس بغرفةٍ صغيرةٍ مظلمة، وأصبح سميته فيها الخمر والشعر والقلق والحيرة، عمي في آخر عمره، ونصحهُ الأطباء بترك الخمر فأبى، فساءت صحته جداً، وأدخل المستشفى فمات بعد فترة، ولم يصل عليه أحدٌ من أهله، وقاموا بإحراق جميع أوراقه وبقايا شعره، توفي سنة ١٣٧٠ هـ بالكويت، بينما كانت ولادته سنة ١٣٢٧ هـ.

وقد ذكر صاحبه عبد الله الأنصاري عنه أنه: "شب متديناً، يؤدي الصلاة مع والده في المسجد، ويحافظ على أدائها مع والده في كل فرض من الفروض، حتى صلاة الفجر، فقد كان والده يأخذه معه إلى المسجد وهو صغير السن؛ إلى أن تشرب الدين في عروقه ودمه" (١٥) ثم أصبح مؤذناً بعد ذلك (١٦). لكنه بعدها - كما يقول صاحبه الأنصاري -



"أغرق في القراءة، واستمر في الإطلاع على مختلف الآراء والأفكار الأدبية والاجتماعية والسياسية... إلى أن تحول تحولاً كلياً في تفكيره، وفي نظره إلى الحياة، وإلى بعض التقاليد والعادات الموروثة (١٧)؛ ثم أخذ يتعاطى الخمرة التي تغزل بها كثيراً في شعره، وهكذا، إلى أن أصبح منعزلاً في أفكاره وآرائه عن بيئته المتدينة، وعن المجتمع المحافظ" (١٨).

قلت: فنصح أهله وأقاربه وزجره عن هذا المسلك المهلك، ولكنه أبى واستكبر، فهجروه واعتزلوه ونبذوه، فلزم العزلة والإنزواء ومعاقرة الخمر مع من هم على (مشربه) إلى أن أصابه الله بالعمى وهلك غير مأسوف عليه. وبعد وفاته لم يصل عليه أحدٌ من أهله (١٩)، وقاموا بحرق ما وجدوا من أشعاره التي تنضح بالكفر والاعتراض على شرع الله والاستخفاف بشعائره (٢٠).

وسأورد آياتاً له تدل على ذلك؛ لتعلم حال الرجل، وتعذر أهله وأقاربه على ما قاموا به. يقول العسكر (٢١):

ليلة ذكرياتها ملء ذهني \*\*\*\*\* وهي في ظلمة الأسي قنديلي  
ليلة لا كليله القدر بل \*\*\*\*\* خير وخيرٌ والله من ألف جيل  
أنا ديني الهوى ودمعي نبيي \*\*\*\*\* حين أصبو ووحيه إنجيلي

هذه مجرد أمثلة للناكسين على أعقابهم بعد أن أبصروا الطريق، ممن قال الله فيهم: { وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون } وقال { إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم }.

ومعرفة أسباب هذا الزيغ الذي يصيب قلوب البعض يحتاج إلى دراسة متعمقة تغور في تلك النماذج وما يماثلها لتستخرج أسباباً مشتركة بينها؛ لكي توجد الحلول المناسبة الواقية من ذلك - بإذن الله -، فلعل الله ييسر من يقوم بذلك؛ لأهميته القصوى، لاسيما في زماننا هذا زمان المتغيرات. ويحضرني من ذلك على عجالته: أنني تلمحت في أحوال كثير من الزائغين ممن يمر بي ذكرهم فوجدتهم لا يخطئون واحدة من هذه الصفات:

- ١ - الذكاء غير المنضبط بضوابط الشرع، مما يجعل صاحبه يقتحم المهالك بدعوى الثقة في النفس !
- ٢ - الكبر والإعجاب بالنفس، فتجد (الأنا) متضخمة عند هذا الصنف من الناس قبل زيغهم. ومما يذكر عن القصيمي مثلاً أنه كان إذا ألف كتاباً ابتدأه بقصيدة له يثني فيها على نفسه وقدراته !
- ٣ - الشذوذ ومحبة تتبع الغرائب والنوادير قبل زيغهم، كل هذا طلباً (للشهرة) و(التميز).
- ٤ - التهاون في الجلوس مع المنحرفين فكرياً، بدعوى "الاستفادة" أو "الإطلاع" ! و"الصاحب صاحب" كما قيل. ورحم الله الأوزاعي لما قيل له إن فلاناً يقول: أنا أجالس أهل السنة وأجالس أهل البدع. قال: هذا رجل يريد أن يساوي بين الحق والباطل" (٢٢).

٥ - عدم إخلاص النية في سلوك طريق الهداية، وإنما كان السلوك مشوباً بالمقاصد الدنيوية أو المحاملات التي سرعان ما تختفي مع طول الطريق الذي لن يصبر عليه إلا المخلصون.

٦ - عدم اتباع سنة النبي ﷺ في الإكثار من قول "اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في سبب إلحاد بعض الملحدين: (من أضر الأمور على العبد أن يكون متميزاً عن العامة ببعض العلوم الطبيعية أو غيرها، فإذا جاءت العلوم الدينية النافعة التي لم تدخل في علمه نفاهاً، فحسر دينه وصار علمه الجزئي لبعض المعلومات وبالاً عليه. وهكذا تجد من عرف نوعاً من العلم وأمتاز به على العامة الذين لا يعرفونه، فيبقى بجهله نافعاً لما لا يعلمه.

وبنو آدم ضلالهم فيما جحدوه ونفوه بغير علم أكثر من ضلالهم فيما صدقوا به وأثبتوه، قال تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ}. وهذا لأن الغالب على الآدميين صحة الحس والعقل، فإذا أثبتوا شيئاً وصدقوا به كان حقاً بخلاف ما نفوه، فإن غالبهم أو كثيراً منهم ينفون ما لا يعلمون، ويكذبون بما لم يحيطوا به علماً.

ويتفرغ على هذا الأصل الباطل: الجهل بالإلهيات وبما جاء به الرسل، والجهل بالأمور الكلية الخيطة بالموجودات، وبهذا ضل زنادقة الفلاسفة وغيرهم، كما أنكروا الجن والملائكة وأمور الغيب، إذ لم تدخل تحت علومهم القاصرة، فجحدوها وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، وجاءتهم الرسل بالبينات والبراهين ففرحوا بما عنهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزؤون). أهـ.

### السياج الذي أقامه السلف:

لقد تنبه السلف لخطورة هذا الأمر الذي يُفسد قلوب ناشئة المسلمين، فلهذا جعلوا بينهم وبينه سياجاً واقياً استنبطوه من النصوص الشرعية (٢٣)، يتضمن النهي عن مخالطة أهل البدع والانحراف والبعد عن شبهاتهم وإنتاجهم (٢٤)؛ خشية أن يعلق شيء منها بقلب ضعيف فيتأثر به ويتشربه، فأعادوا وأكثروا حول هذا الموضوع في مصنفاتهم ومروياتهم نصحاً لأبناء المسلمين، فلا تكاد تجد مؤلفاً في العقيدة السلفية إلا ويتضمن فصلاً أو أبواباً في التحذير من أهل الزيغ والتنفير منهم ومن مسلكهم وإعراضهم عن الكتاب والسنة إلى زبالات البشر (٢٥).

فمن ذلك: قول ابن عباس -رضي الله عنهما-: "لا تجالس أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم ممرضة للقلب" (٢٦).

ومن ذلك: قول عمرو بن قيس الملائني: "كان يُقال: لا تجالس صاحب زيغ فيزيغ قلبك" (٢٧).

ومن ذلك: قول الإمام أحمد وقد ذكر عنده أهل البدع: "لا أحب لأحد أن يجالسهم ولا يخالطهم ولا يأنس بهم، وكل من أحب الكلام لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة؛ لأن الكلام لا يدعو إلى خير، عليكم بالسنن والفقهاء الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال وكلام أهل البدع والمراء" (٢٨) وذكر في مسنده -رحمه الله- حديث الدجال وقول النبي ﷺ: "من سمع بالدجال فليأمنه، فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فما يزال به بما معه من الشبه حتى

يتبعه" (٢٩) ففس هذا -رعاك الله- مجال من مجالس أهل البدع والزيغ ويتضلع من كتبهم مدعياً أنه يثق بنفسه !!  
ساخرًا من تحذيرات أهل الإسلام.

فالسلف - رحمهم الله - نظروا إلى العلوم بهذه القسمة:

١ - العلم الشرعي النافع؛ وهو علم الكتاب والسنة وما تفرع عنهما. وهو ماوردت النصوص بمدحه ومدح أهله، وذكر أجره العظيم لمن خلصت نيته.

٢ - العلم (الديني) المباح النافع؛ كعلوم الزراعة والهندسة والصناعة ونحوها. وهذا العلم كلاً مباح لأهل الأرض كلهم، هم شركاء فيه، ومن بذل أسبابه حصله. كما قال تعالى { كَلَّا نُمَدِّهُ هُوَآءَ وَهُوَآءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ }.

٣ - العلم الضار؛ وهو الذي لا نفع فيه في الدنيا ولا في الآخرة، بل سيكون وبالاً على صاحبه، وإن توهم البعض من المخدوعين خلاف ذلك؛ كالسحر والتنجيم وعلم الكلام والفلسفة ونحوها. ومثله في زماننا: الكتابات الفكرية المناهضة للنصوص الشرعية.

# هُوَآءَ هُم بَعْضُ رَوَادِ الْإِلْحَادِ وَالرَّدِّ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، وَلَهُمْ أَتْبَاعٌ وَمُحِبُّونَ وَمُرِيدُونَ، وَهَنَّاكَ مِنْ يُعْظَمُ هُوَآءَ وَيُقَدِّسُهُمْ، وَيَجْعَلُهُمْ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَالْمَنَازِلِ، وَيُنَشِّرُ كُتُبَهُمْ وَيَذِيعُ أَخْبَارَهُمْ، وَيَدْعُو إِلَى انْتِهَاجِ طَرَقِهِمْ، وَخَلَعِ أَكْبَرَ الْأَوْصَافِ وَالنَّعَوْتِ عَلَيْهِمْ !.

عندما نقرأ في سيرِ وكتبِ هُوَآءِ الملاحدة، فإننا نجدُ فيها قواسمَ مشتركة، تتجلى بوضوحٍ لكلِّ قارئ، ومن أبرز ذلك:

- إنكارهم للغيبِ جملةً وتفصيلاً، وقصرهم الإيمانَ بحدودِ الملموسِ والمحسوسِ - فقط -، دونَ ما غابَ عن العينِ، أو لم يُمكن إدراكه بالحسِّ.

- استهزائهم بالشعائرِ الدينيَّةِ جميعها، ووصفهم لأهلها بالرجعيينَ والمتخلِّفينَ، ومحاربةُ أي دعوةٍ تدعو إلى التديُّنِ، أو صبغِ الحياةِ بمظاهرِ الدينِ.

- ميلهم نحو احتقارِ العربِ، واحتقارِ عاداتهم وسلوكهم، ومدحهم للشعوبيَّةِ والباطنيَّةِ.

- دعوتهم للتغريبِ والالتحاقِ بالغربِ، والأخذِ بجميعِ ثقافتهم وأمورهم الحياتيَّةِ، والتعلُّمِ منهم ومن سلوكياتهم.

- حربهم الشرسةُ على الأخلاقِ والعاداتِ الحميدة، وادعائهم أنَّه لا يوجدُ شيءٌ ثابتٌ مُطلقاً، وأنَّ الحياةَ والأخلاقَ والعاداتِ، في تطوُّرٍ مستمرٍّ، وأنَّ الثباتَ على الشيءِ إنما هو من شأنِ الغوغائيينَ والمتخلِّفينَ والرجعيينَ.

- تعظيمُ المادَّةِ والطبيعةِ، وكذلك تعظيمُ جميعِ العلومِ الطبيعيَّةِ، وجعله أساسَ كلِّ الحضاراتِ، وافتعالِ صراعٍ مزعومٍ بينَ الدينِ والعلمِ التطبيقيِّ.

- منعهم من محاربةِ الاحتلالِ، ووقوفهم دائماً ضدَّ المقاوماتِ الشعبيَّةِ، ووصفها بصفاتٍ بشعةٍ، والدعوةُ إلى مهادنةِ الغازيِ والتعايشِ معه.

- تعاونهم الوثيق مع الصهيونية والماسونية، ومدحهم اللامحدود لليهود وللصهاينة، وهذه سمة غالبية على جميع الملاحدة والمتردين، حيث يجعلون إسرائيل أفضل أهل الأرض، ويميلون إليهم ويمدحونهم، ويدعون إلى التعايش معهم وقبولهم، ويقدمون في حركات المقاومة وفي أطفال الحجارة.

- يدعي الملاحدة أن الدين سبب للتناحر ونشر البغضاء في الأرض، وأنه تسبب في إشعال وإذكاء نار الحروب، في الكثير من بقاع الأرض، وقد حان الوقت لتركه والتخلي عنه.

# إن القراءة في سير هؤلاء المرضى، والوقوف على دقائق حياتهم، ومدى ما كانوا يعيشونه من أمراض وشكوك وساوس وحيرة وقلق، ليدعون إلى التسائل: ما الذي جنوه من إعراضهم عن الدين غير الهمم والغم والنكد!، ولماذا كفر هؤلاء بالإسلام، ثم آمنوا باليهود وبقوتهم، وأصبحوا صفاً واحداً مع اليهود، ضد العرب والمسلمين!.

إن انتشار الإلحاد والردة ورواجهما، لا يعني بحال من الأحوال صحة هذا النهج، وبخاصة ونحن نرى كيف تحول هؤلاء إلى مسوخ، تُدار بيد اليهود، ويستغلها اليهود لصالحهم، وكيف أصبحوا ضد شعوبهم، وضد أوطانهم في صف الغازي والمحتل، وما انتشار الإلحاد والردة، إلا مثل انتشار السرقة والزنا والخنا والفجور، كلاهما سوء وشرٌ انتشر، والناس همى التحرر، وتعشق التمرد، وتُحب الانفلات، سواء كان في الأخلاق، أو كان في الأفكار، وهذا هو ما يُفسر لنا سبب شرع الحدود، والدعوة إلى إقامتها، ذلك أن الحدود حائلة بين الناس وبين انفلاتهم، وممانعة لهم من التمرد على القيم والفضائل، وراعاة لهم عن كل ما يسبب لهم الحيرة والاضطراب ولو بدا في منظرٍ حسن وهي.

إن الحدود لم تُشرع حتى يتشقى الحاكم في الحكومين، أو شرعت لتكون مانعاً من الحريات، كلاً، إنما شرعت لتكون مانعاً من الفوضى الفكرية، والفوضى السلوكية، وحائلاً بين الإنسان وبين مشاهدة البهائم، والتي تعيش بلا هدف وبلا قيد أو ضابط، ولو أن كل شخص ترك على هواه ومبتغاه لفسدت الأرض، وفسدت الأعراض، وانتشرت الرذيلة.

أليس حد الردة وتطبيقه، والأخذ على يد السفهاء من الملاحدة والزنادقة، بأولى أن يُطبق من حد الزنا وحد الحرابة!.

أليس العدو الصائل الذي يُغير على الأديان، بأولى أن يُكف، من العدو الذي يصل على الأموال والأبدان!.

أليس الأمن الفكري، والانضباط المعرفي، أولى بالتشريع والمحافظة، من المحافظة على الأملاك العامة وعلى القطع الأثرية وبقايا الحصون والقلاع!.

وأنا إذ أرى هذه الموجة الغريبة، الجانحة نحو نبد الدين، ونبد جميع الموروث منه، لأتعجب إذ أقرأ إحصائية نُشرت في أمريكا، حيث قمة التطور، وبلوغ الغاية القصوى من الحضارة والتكنولوجيا، أجرتها مجلة نيو يورك تايمز، في عددها الصادر بتاريخ ١٩٩٣/٢/٢٧ ص ٦، ذكرت هذه الإحصائية أن عدد الأمريكيين الذين يؤمنون بوجود الله، يشكلون ما نسبته ٩٦ % من الشعب الأمريكي.

لاحظوا ارتفاع التّسبب، في دولةٍ هي أكبر دولةٍ صناعيّةٍ ومتحضّرةٍ في العالم، فأينَ أوهامُ الملاحدةِ وظنوّهم الداعيةُ إلى نبذِ الدينِ والإيمانِ بالغيّب، لأنّه يُعارضُ الحضارةَ، ويجعلُ من الشعوبِ متخلّفةً ورجعيةً !!  
ربّنا لا تُزغُ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهبْ لنا من لدنك رحمةً إنك أنتَ الوهابُ.

الهوامش:

- (١) مجلة الرسالة: السنة الثامنة، المجلد الثاني، ص ١٢٤١، والأعلام الشرقية (ص ٨٦٠).
- (٢) الأعلام للزركلي (١/٣١٠ بتصرف). وله ترجمة في الأعلام الشرقية لزكي مجاهد (ص ٨٥٨-٨٦٠)، وفي تراجم عربية، لمحمد عبد الغني حسن.
- (٣) نشرها الدكتور أحمد الهواري ضمن الأعمال الكاملة لإسماعيل أدهم (٨٠/٣) وتراجم عربية، ص ١٨٩. وذيل الملل والنحل، لسيد كيلاني، ص ٩١.
- (٤) ذيل الملل والنحل، لسيد كيلاني، ص ٩١.
- (٥) مجلة الرسالة، ٥ أغسطس ١٩٤٠م، وانظر: الإسلام والغرب، لمحمد الخير عبد القادر، ص ٦١، وهوامش على دفتر التنوير، لجابر عصفور، ص ١٣٦. وقد ذكر أن أبا شادي نشرها في مجلة "الإمام" (سبتمبر ١٩٣٧م).
- (٦) نشرها الدكتور أحمد الهواري عقب رسالة إسماعيل مظهر، ضمن الأعمال الكاملة له (٩٢/٣).
- (٧) وحي الرسالة (٢/٢١٨).
- (٨) تراجم عربية (ص ١٩٨).
- (٩) الأعلام الشرقية (ص ٨٥٨).
- (١٠) السابق (ص ٨٥٩-٨٦٠).
- (١١) القائل هو أبو المعالي الجويني -غفر الله له- وهو من هو ذكاء وتمرساً في علوم الكلام، ثم ختم ذلك بقوله: "وها أنذا أموت على عقيدة أُمّي" ! فهل من معتبر ؟ ! (انظر: شرح الطحاوية، ص ٢٤٥، ط التركي والأرنؤط).
- (١٢) سير أعلام النبلاء (٦١/١٤).
- (١٣) السابق (١٤/٦٢).
- (١٤) السابق (١٤/٥٩).
- (١٥) فهد العسكر، حياته وشعره، لصاحبه عبد الله الأنصاري، ص ٥٤. مع التنبيه إلى أن صاحبه هذا يعتذر له كثيراً ويتهجم على معارضيه من أهل الإسلام.
- (١٦) السابق، ص ٢٥.
- (١٧) بل أحكام الشريعة ! ولكنها المدافعة بالباطل !
- (١٨) السابق، ص ٥٦.
- (١٩) السابق، ص ٨٤.
- (٢٠) السابق، ص ٧٥.
- (٢١) السابق، ص ١٤٨.
- (٢٢) الإبانة لابن بطة (٢/٤٥٦).
- (٢٣) انظرها في رسالة "موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع" للدكتور إبراهيم الرحيلي (٢/٥٢٩-٥٦٣).
- (٢٤) إلا لمن أراد الرد على هذا الإنتاج العفن، وتحذير الأمة منه، بعد أن يتزود بالعلم الشرعي النافع.

- (٢٥) انظر على سبيل المثال: "الشريعة" للآجري (٥٧٤/٣ وما بعدها)، و"أصول اعتقاد أهل السنة" للالكائي (١١٤/٢ وما بعدها)، و"الإبانة" لابن بطة (٤٢٩/٢ وما بعدها)، و"السنة" لعبد الله بن أحمد. (١٣٧/١ وما بعدها) و"البدع والنهي عنها" لابن وضاح، وغيرها.
- (٢٦) الإبانة، لابن بطة (٤٣٨/٢).
- (٢٧) السابق، (٤٣٦/٢).
- (٢٨) الآداب الشرعية، لابن مفلح (٢٢٠/١).
- (٢٩) أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

### # ملخص لتاريخ الإلحاد في العالم الإسلامي:

١. بدأت هذه الحركات بالانتشار في العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة الإسلامية في تركيا، حيث قامت حكومة مصطفى كمال أتاتورك على نشر الحركات، فألفت الكتب التي تهدف إلى التشكيك في حقائق الأديان كلها. حيث صدر أول كتاب في تركيا عنوانه: مصطفى كمال، لكاتبه قابيل آدم، يتضمن مطاعن قبيحة في الأديان، وبخاصة الدين الإسلامي، وفيه دعوة صريحة للإلحاد، وإشادة بالعقلية الأوروبية.
٢. كان ضمن القائمين بهذه الحركة إسماعيل أحمد مظهر، الذي جاء إلى مصر، وحاول نشر الأفكار الإلحادية بين أهلها، وألف رسالة صغيرة بعنوان: لماذا أنا ملحد؟ وطبعها سنة ١٩٢٦م. وقد عرف الإلحاد بقوله: (الإلحاد هو الإيمان بأن سبب الكون يتضمنه الكون ذاته، وأن ثمة لاشيء وراء هذا العالم).
٣. الدعوة الإلحادية بين المسلمين في مصر يرجع تأريخها إلى سنة ١٩٢٤م، حينما قام محمود عزمي وكتب في صحيفة الأهرام داعياً إلى ترك الأديان لأنها - بزعمهم - قيود تعوق عن التقدم والرقي.
٤. أصدر إسماعيل مظهر سنة ١٩٢٨م مجلة العصور في مصر، وجعلها منبراً لنشر الأفكار الإلحادية وترويجها، والظعن في العرب والعروبة، واتهام العقلية العربية بالجمود والانحطاط، ومشيداً بأفكار وأمجاد اليهود ونشاطهم. وقد لخص كتاب قابيل آدم، ونشره في مجلته.
٥. في سنة ١٩٢٨م تأسست في مصر جماعة لنشر الإلحاد، تحت شعار الأدب، واتخذت دار العصور مقراً لها، وأسمتها رابطة الأدب الجديد، وكان أمين سرها كامل الكيلاني، وقد تاب إلى الله بعد ذلك.
٦. قد أحدثت هذه الحركات الإلحادية رد فعل بين المسلمين، فقامت الجمعيات الدينية والدعوات الإصلاحية لمقاومة الإلحاد، ونشطت حركت التأليف الديني نشاطاً لم يسبق له مثيل والله الحمد. وأما الحركات الإلحادية فقد انتهت بالإخفاق التام، وأصبح المسلمون بحمد الله أكثر فهماً لدينهم.

(٦) الآثار المترتبة على الإلحاد<sup>(١)</sup>:

لقد ترك الإلحاد آثاره سيئة الواضحة في سلوك الإنسان، وفي أخلاق الأمم، ونظام الاجتماع. فالأمم الكافرة تعيش حياة صعبة معقدة، ولا يجدون حلاً لمشكلاتهم، فهم يعاقبون في هذه الدنيا أشد أنواع العقوبات بالإضافة إلى ما سيلقونه يوم القيامة من النكال والعذاب والخلود في النار إن ماتوا على كفرهم. وفيما يلي إجمال للآثار المترتبة على الإلحاد:

١ / القلق النفسي، والاضطراب، والحرمان من طمأنينة القلب، وسكون النفس. قال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) [طه: ١٢٤].

كيف لا يصيب الملاحدة الهم والغم والقلق وفي داخل كل إنسان أسئلة محيرة؟ مَنْ خَلَقَ الحياة؟ وما نهايتها؟ وما بدايتها؟ وما سر هذه الروح التي لو خرجت لأصبح الإنسان جماداً؟.

ثم إن هذه الأسئلة قد تهدأ في بعض الأحيان بسبب مشاغل الحياة إلا أنها ما تلبث أن تعود، وما نراه اليوم من كثرة الانتحارات، وإدمان المخدرات دليل على ذلك.

٢ / الأنانية والفردية؛ نظراً لاشتغال كل فرد بنفسه؛ فلا رحمة ولا شفقة ولا عطف ولا حنان؛ أين ذلك كله من الرحمة في الإسلام؟ كما قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ".

٣ / فقد الوازع الديني والنزوع إلى الجريمة. وهذا لا يحتاج إلى دليل فواقع الحياة في الغرب، ومعدلات السرقة والخطف - شاهد على ذلك لأن الإلحاد لا يربي النفس، ولا يخوف الإنسان من إله قوي يراقب تصرفاته، فالإنسان الملحد يغرق في الشهوات والملذات، ويتغلب على ما أمامه إما بالحيلة أو المكر أو القوة.

٤ / هدم النظام الأسري؛ وذلك أن الأسرة الكافرة تعيش في تفكك وتشردم وضياع.

٥ / فساد المجتمع؛ إذ أن فساده من فساد الأسرة.

٦ / الرغبة في الانتحار؛ تخلصاً من الحياة: والغريب في الأمر أن أكثرية المنتحرين ليسوا من الفقراء حتى يقال بسبب فقرهم، بل من الأغنياء المترفين، ومن الأطباء، بل ومن الأطباء النفسانيين الذي يظن بهم أنهم يجلبون السعادة للناس!. والغريب أن الانتحار في بعض بلدان الغرب له مؤيدون، وهناك كتب تعين الذين يريدون الانتحار، وتبين لهم الطرق المناسبة!.

٧ / إرادة الانتقام، والظماً النفسي للتشفي من كل موجود.

٨ / شيوع الكراهية والبغضاء.

٩ / انعدام الثقة بين الناس؛ فكل شخص يخاف من أقرب الناس إليه، ولا أدل على ذلك مما حصل في ألمانيا الشرقية عندما هارت فيها الشيوعية، حيث ذهب الناس إلى أقسام الشرطة؛ لينظروا ما كتب عنهم من قرارات من خلال العمليات التجسسية، فوجد كثير منهم أن الذي كتب عنه التقرير أمه أو أخته أو زوجته أو صديقُه!.

(١) انظر: كتاب: الإلحاد، أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها. وكتاب الإيمان بالله. للدكتور إبراهيم الحمد.

١٠ / شيوع الأوهام والمخاوف.

١١ / الإجرام السياسي: وهو من أعظم آثار الإلحاد؛ ذلك أن الأخلاق المادية الإلحادية التي جعلت قلب الإنسان يمتليء بالقسوة - دفعته إلى تطبيق ذلك عملياً، لذلك رأينا الدول الكبرى كيف تفعل بالدول المُستعمَرة من الإهانة، والإذلال، والقتل، والتشريد.

ولا أدل على ذلك مما فعله ستالين إبَّان فترة حكمه؛ حيث قتل في تلك المدة أكثر من ثلاثين مليوناً. هذا شيء من آثار الإلحاد المدمرة.

ومن خلال ذلك يتبين لنا مدى ما تصل إليه البشرية عندما تبتعد عن وحي السماء، ويتبين لنا - أيضاً - مدى حاجتها إلى المنهج الصحيح الذي يقودها إلى سعادة الدارين. ولا يتم ذلك إلا بما يلي:

### (٨) كيف نعالج ظاهرة الإلحاد؟

١. بالجد، والاجتهاد في الدعوة إلى الله.
٢. بيان محاسن الإسلام للناس.
٣. بالتصدي لشبهات الملاحدة. (انظر: كتاب: الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، للشيخ عبد الرحمن السعدي. فقد ذكر ثلاثة وثمانيناً وجهاً في الرد على شبهات الملحدين، فأبطل أصولهم، وبيّن مخالفتها للعقل والفطرة والحكمة والأديان الصحيحة).
٤. العناية بتربية الناس على العقيدة الصحيحة، والأخلاق القويمة المستمدة من مشكاة الوحي، فيهدي الله بذلك من شاء هدايته ممن سبقت له الحسنى.
٥. تطبيق أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ كما جاءت، ففيها كل خير وراحة للإنسانية جمعاء.

### دلالة الفطرة على وجود الله:

كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه). رواه البخاري.

### دلالة العقل على وجود الله تعالى:

هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لا بد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفه.



لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، لماذا؟

لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟

ولا يمكن أن توجد صدفة، لماذا؟

لأن كل حادث لابد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط المتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟ وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون). يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم - رضي الله عنه - رسول الله - ﷺ - يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون. أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون. أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون). وكان جبير يومئذ مشركاً قال: (كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما قر الإيمان في قلبي) رواه البخاري مفرقاً.

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك: فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، وملئ بالفرش والأسرة، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفهاً من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه، وسمائه، وأفلاكه، وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وجد صدفة بدون موجد؟!!

## الفصل الثالث

### المذهب الثاني من المذاهب الفكرية المعاصرة الوجودية<sup>(١)</sup>

#### المسألة الأولى: تعريف الوجودية:

- عُرِّفَت الوجودية بعدة تعريفات متقاربة، فمنها:
- أولاً: هي مذهب فلسفي يقوم على دعوة خادعة، وهي أن يجد الإنسان نفسه. ومعنى ذلك عندهم أن يتحلل من القيم وينطلق لتحقيق رغباته وشهوته بلا قيد.
  - ثانياً: هي إباحية سافرة لا فرق بين من يتعاطونها وبين سائر الإباحيين في كل زمن. وهذا تعريف العقاد في كتابه (أفيون الشعوب).
  - ثالثاً: هي تيار فلسفي يعلي من قيمة الإنسان ويؤكد تفرد، وأنه صاحب تفكير، وحرية وإرادة، واختيار، ولا يحتاج إلى موجه، وهذا التيار جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة، وليس نظرية فلسفية واضحة المعالم.
  - رابعاً: الوجودية عند سارتر هي طاعة النفس، والوجودي في مذهبه هو الذي لا يقبل توجيهاً يأتي إليه من الخارج.
- هذه التعاريف يتبين من خلالها أن الوجودية دعوة إلى إبراز قيمة الوجود الفردي، وإلى أن يهتدي الإنسان إلى وجوده بنفسه، وتفرد به سلوكه بعيداً عن الصلة بالله، بل إنها لا تعترف بإله يدبر الكون.

#### المسألة الثانية: سبب التسمية:

- اختلف في تسمية الوجودية بهذا الاسم.
- فقيل: أطلق عليها هذا الاسم؛ لأنهم يعدّون وجود الإنسان مقدماً على ماهيته. وهذا اصطلاح فلسفي، معناه عندهم أن الوجود الحقيقي هو وجود الأفراد، وأما النوع فهو اسم لا وجود له في الخارج (أي خارج الذهن). فمثلاً: زيد وإبراهيم وفلان وعلان هؤلاء موجودون حقيقيون لا شك في وجودهم، ولكن الإنسان أو النوع

(١) انظر: الوجودية، د/ محمد بن إبراهيم الحمد، والموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، والموسوعة الميسرة، والمذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها.

الإنساني كلمة لا حقيقة لها في الخارج كما يزعمون، وهم يهدفون من وراء هذه الفلسفة إلى أن على الفرد أن يحقق وجوده بتحقيق رغباته وشهواته غير مبالي بمصير النوع الإنساني كله.

- وقيل: لأهم يرون أن وجود الكائن لذاته أهم من كونه واحداً من نوع متعدد الآحاد.
- وكلا الاحتمالين وارد في التسمية، فهي وجودية لاهتمامها بوجود الإنسان، وهي دعوة إلى تفرد الإنسان في سلوكه وفي حياته حتى لا يصبح في نظرهم كما مهمللاً لا يعاباً به كما حدث في النظرية الشيوعية التي تهمل الفرد في سبيل المجموع. ولا تنظر إليه إلا كما تنظر إلى قطع غيار من ما كينة من الماكينات، كلما أصابه عطب أو تلف ألفت، واستبدلت بأخرى.

### المسألة الثالثة: أسماء الوجودية:

الوجودية لها أسماء كثيرة: أشهرها الوجودية، وتسمى بفلسفة العدم (الجماعة)، وفلسفة التفرد، والفلسفة الانحلالية.

### المسألة الرابعة: أنواعها.

الوجودية أنواع متعددة ومتباينة، وربما تناقضا الفيلسوفان الوجوديان في العصر الواحد والبلد الواحد، فكل فيلسوف له صياغة معينة لفلسفة الوجودية. ويتفق الجميع في الاهتمام بأن يجد الفرد نفسه، ويختلفون في الطريقة التي يقرر الفرد بها وجوده.

١ \_ بعضهم يرى أن الوجودية لا تتحقق إلا عن طريق اليقظة العاطفية، وصحوة الضمير، أو بضربة من ضربات التجارب، وهذه وجهة نظر سورين كير كيجورد (١٨١٣-١٨٥٥م) وهو عند الوجوديين الأب الرسمي للوجودية. فيلسوف دانماركي نصراني.

٢ \_ عند سارتر يرى أن الوجودية لا تتحقق إلى إذا أطلق الإنسان لنفسه الرغبات والشهوات، بحيث يفعل ما يشاء، ويترك ما يشاء، ولا يبالي بعرف أو دين. وإذا أطلقت الوجودية فالمقصود وجودية سارتر.

٣ \_ يرى كاموس أن تحقق وجود الفرد يكون بمواجهة المخاوف والأخطار والتعرض للقلق والحزن.

٤ \_ عند بعض الوجوديين يتحقق وجود الفرد إذا اتصل بالوجود الأعظم (وجود الإله) أو وجود الكارما عند البراهمة، لكن عن طريق معاناة شخصية لا عن طريق الأنبياء.

### المسألة الخامسة: نشأة الوجودية:

نشأت الوجودية بصورتها الحديثة (وجودية سارتر) بعد الحرب العالمية الثانية، حيث كان لمحنة الحرب وما تركته من الدمار والرعب بينة ملائمة لظهور أفكار الوجوديين وتفسيراتهم التشاؤمية، حيث شعر الإنسان الأوربي بعد تلك الحرب المدمرة بأن هذا العالم الذي يعيش فيه عالم هش قابل للانكسار السريع والتحطيم المروع، فظهر المذهب

الوجودي على يد الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر بهذه البيئة، إضافة إلى الفراغ الروحي الذي يعيشه الإنسان الأوربي، فنشأت من كتابات سارتر حركة وجودية بين الشباب تدعوا إلى التخلص من القيم، وأن ينطلق الفرد لتحقيق رغباته وشهوته بلا قيد، ما دامت الحياة لا غاية لها في اعتقادهم وهي قابلة للانتهاك في أي لحظة.

### المسألة السابعة: أبرز شخصيات الوجودية:

أبرز من تنسب إليهم الوجودية جان بول سارتر وهذا الرجل يعد أكثر الوجوديين شهرة، وهو يهودي فرنسي، فيلسوف وأديب، ولد سنة ١٩٠٥م في باريس، وأسر في سنة ١٩٤٠م من قبل الألمان، وبعد أن أطلق سراحه أنشأ مجلة العصور الحديثة التي تتضمن أبحاثاً وجودية في الأدب والسياسة، وله عدة مؤلفات في الوجودية، وحياته الشخصية تحمل طابع الشذوذ.

### المسألة الثامنة: أهداف الوجودية:

من الأهداف التي قامت لأجلها الوجودية:

- ١ \_ تحطيم القيم والأخلاق، والخروج على المبادئ والتمرد على المسلمات والثوابت.
- ٢ \_ إشاعة الرذيلة والإباحية بين الشباب والشابات.
- ٣ \_ رد الناس عن أديانهم أو تشكيكهم في عقائدهم.
- ٤ \_ السخرية من دعوة الرسل.

### المسألة التاسعة: الأسباب التي أدت إلى ظهور الوجودية:

- ١ \_ أنها ردت فعل للماركسية التي ترى أن الفرد لا قيمة له.
- ٢ \_ الطغيان الكنسي وتحكم الباباوات في شؤون الناس، وفرض الآراء التي لا تتفق مع العقل والفطرة، وادعاؤهم أن تلك الآراء هي الدين.
- ٣ \_ حدوث الحروب المدمرة التي ذاقت البشرية ويلاتهما. خصوصاً الحرب العالمية الثانية، حيث دمرت المدن، ومزقت الأسر، وألقت بالآلاف في هيب الدمار والموت.
- ٤ \_ الفراغ الروحي الموجود في كثير من بلدان العالم، مما يجعل الناس يقبلون أي - نحلة، فكلما خرجوا من نفق مظلم دخلوا في نفق أشد ظلمة منه.
- ٥ \_ غياب المنهج الصحيح وهو الإسلام الذي يعتني بجميع جوانب الحياة، فلما غابت شمس في أوروبا ذهب الناس يتخبطون ويبحثون عن الحل فلا يجدونه.
- ٦ \_ تقصير أمة الإسلام في أداء رسالتها، فلما قصرت في أداء الرسالة تاهت البشرية في دياجير الظلام.

٧ - المكر اليهودي الحاقده على البشرية، والذي كان له دور في قيام الوجودية، بل اليهود إما أن يتبنوا كل مذهب حبيث أو يعملوا على إنشائه.

### المسألة العاشرة: أفكار الوجودية وآرائها واعتقاداتها:

قامت الوجودية على أفكار باطلة، واعتقادات مضطربة، وآراء متناقضة، فمما يعتقده الوجوديون ويقولون به ما يلي:

- ١ \_ الإلحاد، فهم يكفرون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويرون أن الأديان عوائق أما الإنسان يقف في طريقه نحو المستقبل، بل أعلن سارتر تجاهله لوجود الخالق.
- ٢ \_ الدعوة إلى التفرد والانطواء والعزلة الاجتماعية.
- ٣ \_ إلغاء حقيقة الخير والشر وإبطال القيم الثابتة، فهم لا يؤمنون بقيم ثابتة توجه سلوك الناس وإنما كل إنسان يفعل ما يريد وليس لأحد أن يفرض قيما وأخلاقا معينة على الآخرين، وجعلوا الشعور الإنساني التابع للهوى ونوازع النفس هو الذي يخلق الخير والشر والحق الجماد يقول سارتر إنك تستطيع أن تفعل ما تريد وليس ثمة من له الحق توجيه النصيح إليك وليس في نظرك شر وخير إلا إذا خلقتكما إذا، فليفعل الإنسان أية جريمة وليفعل أي فعل قبيح وليس من حق أحد أن يحاكمك طالما هو الذي يضع مقاييس.
- ٤ \_ الدعوة إل الانفلات والحرية المطلق فيقولون بحرية الإنسان المطلقة وأن له أن يثبت وجوده كما يشاء وبأي وجه يريد دون أن يقيدته شيء ويرون أن على الإنسان أن يطرح الماضي وبنكر كل القيود دينية كانت أو اجتماعية ويقولون إن الوجودية هي طاعة النفس والوجود حقيقة هو الذي لا يقبل توجيهها يأتي إليه من الخارج بل هو الذي يكب على شهواته غير مبالي بشيء.
- ٥ \_ يعتقدون أن الإنسان أقدم شيء في الوجود وما كان قبل كان عدم.
- ٦ \_ يعتقدون بأن الأديان والنظريات الفلسفية التي سادت خلال القرون الوسطى والحديثة لم تحل مشكلة الإنسان وأن الحل في الوجودية التي قرروها.
- ٧ \_ هي تدعوا إلى كل رذيلة وتحارب كل فضيلة.

### المسألة الحادية عشرة: بطلان الوجودية.

بطلان الوجودية لا يحتاج إلى كبير جهد ففسادها يغني عن إفسادها وتصورها كما في الرد عليها ويتضح بطلانها مما يلي:

- ١ \_ أنها أنكرت وجود الخالق عز وجل وقد دل على وجوده الفطرة والعقل والحس والشرع.

- ٢ \_ دعوى الوجوديين إلى الحرية المطلقة زعماً منهم بأن هذا هو الطريق الوحيد لأن يثبت الإنسان وجوده ويقال لهم ما مفهوم الحرية عندكم؟ أهي على حساب الحريات الآخرين؟ أم على حساب القيم والمبادئ؟ وهل الإنسان إذا أطلق العنان لنفسه وشهواته يكون حراً؟ فيثبت وجوده خلال ذلك؟
- والجواب: أن هذا الفهم خاطئ للحرية فالحرية لا تكون بإطلاق الشهوات ولا تكون على حساب الآخرين وإذا لم تضبط بالشرع أصبحت البشرية كقطيع من البهائم السائبة لا يردعها دين ولا يزنمها حياء ولا يحكمها عقل، وإذا كانت الغاية من الوجودية هي أن يحقق الإنسان وجوده فإن ذلك مقرر في الإسلام أن يطلق العنان لتحقيق شهواته فيدمر نفسه ويدمر الآخرين ثم إن الإنسان أي إنسان عبد لا ينفك عن العبودية طرفة عين فإذا رضي في عبودية الله تحرر من عبودية ما سواه وإلا صار عبد للشهوات والمنصب والمال أو عبد للطواغيت.
- ٣ \_ قيامها على التناقض والجهل ومخالفتها للثوابت فمما يكشف زيف الوجودية أنها قامت على التناقض والجهل ومخالفة العلم والعقل والحقائق الثابتة فلقد قدم سارتر وسائر الوجوديين آراءهم على أنها أحكام تقريرية بدون أي دليل علمي أو حسي أو واقعي بل أنكروا حقائق يشعر بها الناس جميعاً بدون أي دليل.
- ٤ \_ شذوذ روادها وانحرافهم، فقلد قامت الوجودية على أيدي دعاة كانوا جميعاً من الشذاذ وكانت حياتهم مليئة بالاضطراب والقلق، وهذا مما يدل على بطلانها، ففاقد الشيء لا يعطيه، ثم إن كتابات روادها كانت متسمة بالانحراف والسقوط ومن مقالاتهم (القلق، الذباب، اللامعقولية، التمزق) وغيرها مما يدل على اضطرابهم وانحرافهم.
- ٥ \_ آثارها ونتائجها المدمرة وهذا يدل على فسادها وزيفها فمن تلك الآثار التشاؤم والقلق والضياع والخوف والرهيب والانتحار والتمرد والأنانية المفرطة، أضف إلى ذلك ضياع المشاعر الإنسانية كالحبة والرحمة والإيثار، ونحو ذلك، والحاصل أن الوجودية صورة من صور الضياع لم تستطع أن تشخص الداء فضلاً عن تقديم الدواء فهي ترفض الإيمان بالله ولا تجد البديل يقول تعالى (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا) وقد عرض موضوع الوجودية على مجلس المجتمع الفقهي في دورته المنعقدة في ٢٦/٤/١٣٩٩هـ وأصدر في ذلك قرار فيه: (أن الوجودية في جميع مراحلها وتطوراتها وفروعها لا تتفق مع الإسلام).

## الفصل الثالث

### المذهب الثالث

#### العلمانية

#### المسألة الأولى: تعريف العلمانية:

لفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة (Secularism) في الإنجليزية أو (Sécularité) بالفرنسية. وهي كلمة لا صلة لها بلفظ (العلم) ومشتقاته على الإطلاق، فالعلم بالإنجليزية والفرنسية معناه (Science) والمذهب العلمي نطلق عليه كلمة (Scientism). والترجمة الصحيحة لكلمة (Secularism) هي "اللا دينية" أو "الدينيوية"، وتقول دائرة المعارف البريطانية مادة (Secularism): "هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها". ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية هو (إقامة الحياة على غير الدين) سواء بالنسبة للأمة أو للفرد.

ثم إن زيادة الألف والنون غير قياسية في اللغة العربية، أي في الاسم المنسوب، والترجمة الصحيحة لكلمة العلمانية هي اللادينية أو الدينيوية، لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب، بل بمعنى أخص وهو ما لا صلة له بالدين، أو كانت علاقته بالدين علاقة تضاد.

والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو فصل الدين عن الدولة، وهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد والسلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة، ولو قيل إنها فصل الدين عن الحياة لكان أصوب، ولذا فالمدلول الصحيح للعلمانية هو إقامة الحياة على غير دين، سواء بالنسبة للأمة أو للفرد، ثم تختلف الدول أو الأفراد من موقفها من الدين بمفهومه المحدود، فبعضها تسمح به كالمجتمعات الديمقراطية الليبرالية وتسمى منهجها العلمانية المعتدلة، أي أنها مجتمعات لا دينية ولكنها لا تعادي الدين، وفي مقابل ذلك ما يسمى بالعلمانية المتطرفة أي المضادة للدين، ويعنون بها المجتمعات الشيوعية وما شاكلها.

وبالنسبة للإسلام لا فرق بين المسميين، فكل ما ليس ديناً من المبادئ والتطبيقات فهو في حقيقته مضاد للدين، فالإسلام واللا دينية نقيضان لا يجتمعان ولا واسطة بينهما.

تنبيه: المسوقون الأول لمبدأ العلمانية في بلاد الإسلام علموا أنهم لو ترجموها الترجمة الحقيقية لما قبلها الناس ولردوها ونفروا منها، فدلسوها تحت كلمة العلمانية لإيهام الناس أنها من العلم، ونحن في عصر العلم، أو أنها المبدأ العالمي السائد والمتفق عليه بين الأمم والشعوب غير المنحاز لأمة أو ثقافة.

وكان أول من طرح هذا المصطلح في الساحة الثقافية العربية نصارى بلاد الشام في القرن التاسع عشر، وكان أول من طرح هذا المصطلح "إلياس بقطور" وهو نصراني لبناني في معجم (عربي / فرنسي) ثم طرحه بعده "البستاني" في معجميه الذين ألفهما.

### المسألة الثانية: تاريخ العلمانية وأصولها:

العلمانية فكرة غريبة خالصة وتاريخها جزء من التاريخ الغربي، ويتخلص فيما يلي:

١ \_ مع نهاية القرن العاشر الميلادي وصل الانحراف والفساد الديني والاجتماعي على يد الكنيسة النصرانية ورجالها وتعاليمها المزيفة إلى حدٍ لم يحتمله الناس ولا تطيقه فطرة البشر، وقد شققت أوروبا برجال الدين الدجالين، وبتسلطهم ونفوذهم باسم الدين وباسم الرب.

٢ \_ كانت الحضارة الإسلامية في هذه الفترة وما بعدها مزدهرة في الأندلس والشرق وبلاد الغرب، وتغزو العالم بما تحمله من فكر نير، ودين قويم، ونظام عادل، وقامت الدولة الإسلامية في أوروبا في الأندلس تحمل رايات العلم والفكر والحرية بمعناها الإسلامي الأصيل، وبدأ أبناء كبار رجالات الغرب والناهبون منهم يتعثون لتلقي بعض العلوم في جامعات الأندلس الإسلامية، فتأثرت أفكارهم بالعقلية الإسلامية المستنيرة بنور الله، وعادوا إلى قومهم فعرفوا أن الكنيسة ورجالها عملة مزيفة، ووسيلة للدجل والتحكم الظالم في عباد الله.

٣ \_ أخذ هؤلاء الذين تأثروا بالمسلمين يقاومون الكنيسة ودينها المزيف، وأعلنوا كشوفاتهم العلمية والجغرافية التي تحرمها الكنيسة، فقامت قيامة من يسمون لدى النصارى (رجال الدين) واحتدم الصراع ومكث قروناً بين رجال العلم ورجال الكنيسة، فأخذوا يكفرون ويقتلون ويحرقون ويشردون المكتشفين، وأنشأت الكنيسة محاكم للتفتيش لملاحقة حملة الأفكار الجديدة في أوروبا، ومكث هذا الصراع عدة قرون، وانتهى بإبعاد الكنيسة ورجالها عن التدخل في نظم الحياة وشؤون الدولة.

وانتهى هذا الصراع الدامي الطويل بأول انتصار لأعداء الكنيسة أثناء الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م.

٤ \_ نتيجة لوضع الكنيسة ودينها المحرف الذي أشعلت باسمه الفتنة كان من الطبيعي أن تتبنى الثورة عزل الدين النصرائي المحرف الذي حارب العلم عن الحياة وعن الدولة وحصره في الكنيسة وإبعاد رجالها عن التحكم الظالم. ثم سرت هذه الثورة إلى كل الغرب لأنه لا يدين بالإسلام دين العلم والحق والعدل.

وهيمن هذا الاتجاه على أوروبا كلها، وأصبح يحمل شعارات الإلحاد والفوضى الأخلاقية عناداً للكنيسة ورجالها.



وعمت هذه الفكرة أقطار العالم بحكم النفوذ الغربي والتغلغل الشيوعي، وكانت هذه الفكرة الجاهلية (فكرة أن العلم لا صلة بالدين أو الدين يحارب العلم) هي الفكرة السائدة في الغرب طيلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ومع إطلالة القرن العشرين بدأت بوادر التفاهم بين رجال الكنيسة ورجال العلمانية، وانتهت بتنازلات كبيرة بين الطرفين إلى أن دخلت الأحزاب الدينية النصرانية مجالات السياسة في بعض الدول الغربية.

ويمكن تلخيص أسباب نشأت العلمانية في أوروبا بما يلي:

- ٠١ لطغيان الكنسي؛ الديني والسياسي والمالي تحت شعار الرهبانية وبيع صكوك الغفران.
- ٠٢ الصراع بين الكنيسة والعلم.
- ٠٣ الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م.
- ٠٤ نظرية التطور التي تسمى بنظرية النشوء والارتقاء التي أدت إلى انهيار العقيدة الدينية ونشر الإلحاد.

### المسألة الثالثة: مظاهر العلمانية في الحياة الأوروبية:

١. علمانية الحكم.
٢. علمانية الاقتصاد.
٣. علمانية الأدب والفن.
٤. علمانية العلم.
٥. علمانية الاجتماع والأخلاق.

### المسألة الرابعة: تاريخ العلمانية في العلم الإسلامي:

بدأت فكرة العلمانية تغزو العالم الإسلامي منذ أكثر من قرن لكنها لم تتمكن إلا في بداية القرن العشرين الميلادي حين طبقت على مستوى الدولة على أنقاض الخلافة العثمانية ثم سرت إلى بقية العالم الإسلامي وكانت هناك عوامل رئيسة ساعدت على ظهور العلمانية بين المسلمين أهمها:

- ١ \_ انحراف كثير من المسلمين عن العقيدة الصحيحة وكثرة البدع والأهواء وقلة الفقه في الدين بينهم.
- ٢ \_ الاحتلال الغربي للعالم فقد حرص الغربيون على إبعاد الإسلام من واقع الحياة وسياسة الدولة واستبدلوا به مناهج علمانية غربية إحادية.
- ٣ \_ الأقليات غير المسلمة كالنصارى ونحوهم وكل هؤلاء لا ينعمون بضلالهم وفسادهم إلا تحت شعار كشعار العلمانية، وكذلك تظافرت جهودهم على نشرها وبنها والدعاية لها حتى انخدع بذلك كثيرون من السذج وإنصاف المتعلمين من أبناء المسلمين.

- ٤ \_ تقدم الغرب الهائل في مضمار العلم المادي والقوة العسكرية جعل كثيرين من المسلمين ينبهرون بذلك التقدم ويعزونه إلى الاتجاه العلماني وصدقوا دون تفكير بأن الدين معوق لعلم وظنوا أن بلادهم لا تتقدم حتى يفصل الدين (الإسلام) عن الدولة والحياة وهذا بلا شك جهل بالإسلام حتى ثماره النكده جميع المسلمين.
- ٥ \_ يمكن عملاء الغرب والمخدوعين به وأصحاب الاتجاهات والمذاهب النحرفة من الحكم والسلطة في أكثر بلدان المسلمين بدعم من أسيادهم وقد أصبحت العلمانية هي المهيمنة على غالب العالم الإسلامي في الحكم والتشريع والنظام الاجتماعي والاقتصادي ولم تبق دولة لم تهيمن عليها العلمانية إلا المملكة نسأل الله أن يحفظها.

#### • وسائل وطرائق العلمانية من الغرب للشرق:

لقد بزغ نجم العلمانية وعلا شأنه في الغرب في ظل الظروف التي أشرنا إليها، وقد صاحب ظهورها في الغرب انحطاط وتخلف وهزائم في الشرق، مما أتاح للغرب أن يستلم زمام قيادة ركب الحضارة البشرية بما أبدعه من علم وحضارة، وما بذله من جهد وتضحية، فكان أمراً طبيعياً أن يسعى الغرب لسيادة نموذج الحضاري الذي يعيشه وأن يسوقه بين أمم الأرض لأنه بضاعته التي لا يملك غيرها، ولأنه أيضاً الضمانة الكبرى لبقاء الأمم الأخرى تدور في فلك التبعية له وتكدح في سبيل مدنيته وازدهار حضارته، وكان تسويق الغرب للعلمانية في الشرق الإسلامي من خلال الوسائل والطرق الآتية:

#### ١ - من خلال الاحتلال العسكري الاستعماري:

فقد وفدت العلمانية إلى الشرق في ظلال الحرب العسكرية، وعبر فوهات مدافع البوارج البحرية، ولئن كانت العلمانية في الغرب نتائج ظروف ومعطيات محلية متدرجة عبر أزمنة متطاولة، فقد ظهرت في الشرق وافداً أجنبياً متكامل الرؤى والإيديولوجيات والبرامج، يطبق تحت تهديد السلاح وبالقسر والإكراه، كمن يصرّ على استنبات نبات القطب الجليدي في المناطق الاستوائية، وفي هذا من المصادمة لسنن الله في الحياة ما يقطع بفشل التجربة قبل تطبيقها، لأن الظروف التي نشأت فيها العلمانية وتكامل مفهومها عبر السنين تختلف اختلافاً جذرياً عن ظروف البلدان التي جلبت إليها جاهزة متكاملة في الجوانب الدينية والأخلاقية والاجتماعية والتاريخية والحضارية، فالشرط الحضاري الاجتماعي التاريخي الذي أدى إلى نجاح العلمانية في الغرب مفقود في الشرق بل في الشرق نقيضة تماماً - وأعني بالشرق هنا الشرق الإسلامي - ، ولذلك فلا عجب إن كانت النتائج مختلفة تماماً كما سنرى، وحين نشأت الدولة العربية الحديثة كانت عالة على الغربيين الذين كانوا حاضرين خلال الهيمنة الغربية في المنطقة ومن خلال المستشارين الغربيين أو من درسوا في الغرب واعتنقوا العلمانية، فكانت العلمانية في أحسن الأحوال أحد المكونات الرئيسية للإدارة في مرحلة تأسيسها وهكذا بذرت بذور العلمانية على المستوى الرسمي قبل جلاء جيوش الاستعمار عن البلاد التي ابتليت بها.

٢- من خلال البعثات التي ذهبت من الشرق إلى الغرب لطلب العلم والتقدم، فعاد الكثير منها بالعلمانية لا بالعلم، ذهبوا لدراسة الفيزياء والأحياء والكيمياء والجيولوجيا والفلك والرياضيات فعادوا بالأدب واللغات والاقتصاد والسياسة والعلوم الاجتماعية والنفسية، بل ودراسة الأديان وبالذات الدين الإسلامي في الجامعات الغربية، ولك أن تتصور حال شاب مراهق ذهب يحمل الشهادة الثانوية ويلقى به بين أساطين الفكر العلماني الغربي على اختلاف مدارسه، بعد أن يكون قد سقط إلى شحمة أذنيه في حمأة الإباحية والتحلل الأخلاقي وما أوجد كل ذلك لديه من صدمة نفسية واضطراب فكري، ليعود بعد عقد من السنين بأعلى الألقاب الأكاديمية، وفي أهم المراكز العلمية بل والقيادية في وسط أمة أصبح ينظر إليها بازدراء، وإلى تاريخها بريئة واحتقار، وإلى قيمها ومعتقداتها وأخلاقها - في أحسن الأحوال - بشفقة ورتاء. إنه لن يكون بالضرورة إلا وكيلاً تجارياً لمن علموه وثقفوه ومدنوه، وهو لا يملك غير ذلك، ولئن كان هذا التوصيف للبعثات الدراسية ليس عاماً، فإنه الأغلب وبالذات في أوائل عصر البعثات، وما "طه حسين" و"رفاعة الطهطاوي" إلا أمثلة خجلى أمام غيرهم من الأمثلة الصارخة الفاقعة اللون مثل "زكي نجيب محمود" و"محمود أمين العالم" و"فؤاد زكريا" و"عبدالرحمن بدوي" وغيرهم الكثير.. ولئن كان هذا الدور للبعثات العلمية تم ابتداء من خلال الابتعاث لعواصم الغرب فإن الحواضر العربية الكبرى مثل "القاهرة - بغداد - دمشق" أصبحت بعد ذلك من مراكز التصدير العلماني للبلاد العربية الأخرى، من خلال جامعاتها وتنظيماتها وأحزابها وبالذات لدول الجزيرة العربية، وقل من يسلم من تلك اللوثات الفكرية العلمانية، حتى أصبح في داخل الأمة طابور خامس، وجهته غير وجهتها وقبلته غير قبلتها، وإنهم لأكبر مشكلة تواجه الأمة لفترة من الزمن ليست بالقليلة.

### ٣- من خلال البعثات التنصيرية:

فالمنظمات التبشيرية النصرانية التي جابت العالم الإسلامي شرقاً وغرباً من شتى الفرق والمذاهب النصرانية جعلت هدفها الأول زعزعة ثقة المسلمين في دينهم، وإخراجهم منه، وتشكيكهم فيه، حتى وإن لم يعتنقوا النصرانية، وليس أجدى من العلمانية وسيلة لهذا الغرض، والأمر ليس من باب التخمين والافتراض بل نطقت بهذا أفواههم وخطته أقلامهم، وإن شئت فارجع إلى كتاب "الغارة على العالم الإسلامي" مثلاً ليبين لك ذلك. وهؤلاء المنصرين: إما من الغربيين مثل "زويمر" و"دنلوب"، وإما من نصارى العرب مثل "أديب إسحاق" و"شلي شميل" و"سلامة موسى" و"جرجي زيدان" وأضراهم.. ومنهم من كان يعلن هويته التنصيرية ويمارس علمنة أبناء المسلمين "كزويمر" ومنهم من كان يعلن علمانيته فقط، ويبدل جهده في ذلك "كسلامة موسى" و"شلي شميل".

### ٤- من خلال المدارس والجامعات الأجنبية:

ففي أواخر الدولة العثمانية وحين سيطر الماسونيون العلمانيون على مقاليد الأمر سمح للبعثات التبشيرية والسفارات الغربية بإنشاء المدارس والكليات، وانتشرت في بلاد الشام والأناضول انتشار النار في الهشيم، وخرجت أجيال من أبناء وبنات المسلمين أصبحوا بعد ذلك قادة الفكر والثقافة ودعاة التحرير والانحلال. ومن الأمثلة على ذلك الجامعة

الأمريكية في بيروت، والتي في أحضانها نشأت العديد من الحركات والجمعيات العلمانية، وقد سرت العدوى بعد ذلك إلى الكثير من الجامعات والمؤسسات التعليمية الرسمية في العديد من البلاد العربية والإسلامية، وقد قام خريجوا هذه المدارس والجامعات بممارسة الدور نفسه حين عادوا لبلدانهم أو ابتعثوا للتدريس في بعض البلدان الأخرى، وإن المتابع لما ينشر من مذكرات بعض العلمانيين في البلاد التي لم تتلى بهذه المدارس ليتبين له بجلاء ووضوح الدور الكبير الذي قام به العلمانيون العرب من الذين استقدموا للتدريس في تربية طلابهم وإقناعهم بالعلمانية، سواء من خلال التنظيمات الحزبية أو من خلال البناء الفكري الثقافي لأولئك الطلاب.

#### ٥- من خلال الجمعيات والمنظمات والأحزاب العلمانية:

التي انتشرت في الأقطار العربية والإسلامية، ما بين يسارية وليبرالية وقومية وأمية وسياسية واجتماعية وثقافية وأدبية، بجميع الألوان والأطياف وفي جميع البلدان، حيث أن النخب الثقافية في غالب الأحيان كانوا إما من خريجي الجامعات الغربية أو الجامعات السائرة على النهج ذاته في الشرق، وبعد أن تكاثروا في المجتمع عمدوا إلى إنشاء الأحزاب القومية أو الشيوعية أو الليبرالية، وجميعها تتفق في الطرح العلماني، وكذلك أقاموا الجمعيات الأدبية والمنظمات الإقليمية أو المهنية، وقد تختلف هذه التجمعات في أي شيء إلا في تبني العلمانية، والسعي لعلمنة الأمة كل من زاوية اهتمامه، والجانب الذي يعمل من خلاله.

ومن الأمور اللافتة للنظر أن أشهر الأحزاب العلمانية القومية العربية إنما أسسها نصارى بعضهم ليسوا من أصول عربية، أمثال "ميشيل عفلق" و"جورج حبش"، والكثرة الساحقة من الأحزاب الشيوعية العلمانية إنما أسسها يهود مليونيرات أمثال "كوريل".

#### ٦- من خلال البعثات الدبلوماسية:

سواء كانت بعثات للدول الغربية في الشرق، أو للدول الشرقية في الغرب، فقد أصبحت في الأعم الأغلب جسوراً تمر خلالها علمانية الغرب الأقوى إلى الشرق الأضعف من خلال الإيفاد، و من خلال المنح الدراسية وحلقات البحث العلمي، والتواصل الاجتماعي، والمناسبات والحفلات، ومن خلال الضغوط الدبلوماسية والابتزاز الاقتصادي، وليس بسرّ أن بعض الدول الكبرى أكثر أهمية وسلطة من القصر الرئاسي أو مجلس الوزراء في تلك الدول الضعيفة التابعة.

#### ٧- من خلال وسائل الإعلام المختلفة:

من مسموعة أو مرئية أو مقروءة، لأن هذه الوسائل كانت من الناحية الشكلية من منتجات الحضارة الغربية - صحافة أو إذاعة أو تلفزة - فاستقبلها الشرق واستقبل معها فلسفتها ومضمون رسالتها، وكان الرواد في تسويق هذه الرسائل وتشغيلها والاستفادة منها إما من النصارى أو من العلمانيين من أبناء المسلمين، فكان لها الدور الأكبر في

الوصول لجميع طبقات الأمة، ونشر مبادئ وأفكار وقيم العلمانية، وبالذات من خلال الفن، وفي الجانب الاجتماعي بصورة أكبر .

هكذا سرت العلمانية في كيان الأمة، ووصلت إلى جميع طبقاتها قبل أن يصلها الدواء والغذاء والتعليم في كثير من الأحيان، فكان كما يقول المثل "ضغت على إبالة"، ولو كانت الأمة حين تلقت هذا المنهج العصري تعيش في مرحلة قوة وشموخ وأصالة لوظفت هذه الوسائل الإعلامية توظيفاً آخر يتفق مع رسالتها وقيمها وحضارتها وتاريخها وأصالتها.

#### ٨- من خلال التأليف والنشر في فنون شتى من العلوم وبالأخص في الفكر والأدب:

فقد جاءت العلمانية وافدة في كثير من الأحيان تحت شعارات المدارس الأدبية المختلفة، متدثرة بدعوى رداء التجديد والحداثة، معلنة الإقصاء والإلغاء والنبذ والإبعاد لكل قديم في الشكل والمضمون وفي الأسلوب والمحتوى، ومثل ذلك في الدراسات الفكرية المختلفة في علوم الاجتماع والنفوس والعلوم الإنسانية المختلفة، حيث قدمت لنا نتائج كبار ملاحدة الغرب وعلمانيه على أنه الحق الطلق، بل العلم الأوحى ولا علم سواه في هذه الفنون. وتجاوز الأمر التأليف والنشر إلى الكثير من الكليات والجامعات والأقسام العلمية التي تنتسب لأمتنا اسماً ولغيرها حقيقة، وإن كان الأمر في أقسام العلوم الأخرى من طب وهندسة ورياضيات وفيزياء وكيمياء وأمثالها يختلف كثيراً والله الحمد والمنة، وهي الأقسام التي وجهها أبناء الأمة الأصلاء ممن لم يتلوثوا بلوثات العلمانية، فحاولوا أن ينقلوا للأمة ما يمكن أن تستفيد منه من منجزات التقدم الغربي مع الحفاظ على هويتها وأصالتها وقيمها.

#### ٩- من خلال الشركات الغربية الكبرى التي وفدت لبلاد المسلمين مستثمرة في الجانب الاقتصادي:

لكنها لم تستطع أن تتخلى عن توجهاتها الفكرية، وقيمها وأنماط حياتها الاجتماعية، وهذا أمر طبيعي، فكانت من خلال ما جلبته من قيادات إدارية وعمالة فنية احتكت بالشعوب الإسلامية سبباً مهماً في نشر الفكر العلماني وقيمه الاجتماعية و انعكاساته الأخلاقية والسلوكية، ولعل من المفارقات الجديرة بالتأمل، أن بعض البلدان التي كانت تعمل فيها بعض الشركات الغربية الكبرى من أمريكية وبريطانية لم تتلى بالتنظيمات اليسارية، ولم تنشأ إلا في هذه الشركات في أوج اشتعال الصراع بين المعسكر الشيوعي والمعسكر الغربي.

#### • بعض ملامح العلمانية الوافدة:

لقد أصبح حَمَلَة العلمانية الوافدة في بلاد الشرق بعد مائة عام من وفودهم تياراً واسعاً منفذاً غالباً على نخبة الأمة وخاصتها في الميادين المختلفة، من فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية، وكان يتقاسم هذا التيار الواسع في الحملة اتجاهان:

أ- الاتجاه اليساري الراديكالي الثوري، ويمثله - في الجملة - أحزاب وحركات وثورات ابتليت بها المنطقة رداً من الزمن، فشنت شمل الأمة ومزقت صفوفها، وجرت عليها الهزائم والدمار والفقر وكل بلاء، وكانت وجهة هؤلاء الاتحاد السوفييتي قبل سقوطه، سواء كانوا شيوعيين، أو قوميين عنصريين .

ب- الاتجاه الليبرالي ذي الوجهة الغربية لأمريكا ومن دار في فلكتها من دول الغرب، وهؤلاء يمثلهم أحزاب وشخصيات قد جنوا على الأمة بالإباحية والتحليل والتفسخ والسقوط الأخلاقي والعداء لدين الأمة وتاريخها.

### • وللاتجاهين ملامح متميزة أهمها:

١- مواجهة التراث الإسلامي، إما برفضه بالكلية واعتباره من مخلفات عصور الظلام والانحطاط والتخلف - كما عند غلاة العلمانية -، أو بإعادة قراءته قراءة عصرية - كما يزعمون - لتوظيفه توظيفاً علمانياً من خلال تأويله على خلاف ما يقتضيه سياقه التاريخي من قواعد شرعية، ولغة عربية، وأعراف اجتماعية. ولم ينجو من غاراتهم تلك حتى القرآن و السنة، إمّا بدعوى بشرية الوحي، أو بدعوى أنه نزل لجليل خاص أو لأمة خاصة، أو بدعوى أنها مبادئ أخلاقية عامة، أو مواظ ورقات روحية لا شأن لها بتنظيم الحياة، ولا ببيان العلم وحقائقه، ولعل من الأمثلة الصارخة للرافضين للتراث، والمتجاوزين له "أدونيس" و "محمود درويش" و "البياتي" و "جابر عصفور" ومن لفّ لفهم وشايعهم وهم أكثر لا أكثرهم الله .

أما الذين يسعون لإعادة قراءته وتأويله وتوظيفه فمن أشهرهم "حسن حنفي" و "محمد أركون" و "محمد عابد الجابري" و "حسين أمين" ومن على شاكرتهم، ولم ينبج من أذاهم شيء من هذا التراث في جميع جوانبه .

٢- اتهام التاريخ الإسلامي بأنه تاريخ دموي استعماري عنصري غير حضاري، وتفسيره تفسيراً مادياً، بإسقاط نظريات تفسير التاريخ الغربية العلمانية على أحداثه، وقراءته قراءة انتقائية غير نزيهة ولا موضوعية، لتدعيم الرؤى والأفكار السوداء المسبقة حيال هذا التاريخ، وتجاهل ما فيه من صفحات مضيئة مشرقة، والخلط المتعمد بين الممارسة البشرية والنهج الإسلامي الرباني، ومحاولة إبراز الحركات الباطنية والأحداث الشاذة النشاز وتضخيمها، والإشادة بها، والثناء عليها، على اعتبار أنها حركات التحرر والتقدم والمساواة والثورة على الظلم مثل "ثورة الزنج" و "ثورة القرامطة" ومثل ذلك الحركات الفكرية الشاذة عن الإسلام الحق، وتكريس فكرة مفادها أنها من الإسلام بل هي الإسلام مثل القول بوحدة الوجود، والاعتزال وما شابه ذلك من أمور تؤدي في نهاية الأمر إلى تشويه الصور المضيئة للتاريخ الإسلامي لدى ناشئة الأمة، وأجياله المتعاقبة.

٣- السعي الدؤوب لإزالة أو زعزعة مصادر المعرفة والعلم الراسخة في وجدان المسلم، والمسيرة المؤطرة للفكر والفهم الإسلامي في تاريخه كله، من خلال استبعاد الوحي كمصدر للمعرفة والعلم، أو تهميشه - على الأقل - وجعله تابعاً لغيره من المصادر كالعقل والحس، وما هذا إلا أثر من آثار الإنكار العلماني للغيب، والسخرية من الإيمان بالغيب، واعتبارها - في أحسن الأحوال - جزء من الأساطير والخرافات والحكايات الشعبية، والترويج لما يسمى بالعقلانية والواقعية والإنسانية، وجعل ذلك هو البديل الموازي للإيمان في مفهومه الشرعي الأصيل، وكسر الحواجز النفسية بين

الإيمان و الكفر، ليعيش الجميع تحت مظلة العلمانية في عصر العولمة. وفي كتابات " محمد عابد الجابري " و " حسن حنفي " و " حسين مروة " و " العروي " وأمثالهم الأدلة على هذا الأمر.

٤- خلخلة القيم الخلقية الراسخة في المجتمع الإسلامي، والمسيرة للعلاقات الاجتماعية القائمة على معاني الأخوة والإيثار والطهر والعفاف وحفظ العهود وطلب الأجر وأحاسيس الجسد الواحد، واستبدال ذلك بقيم الصراع و الاستغلال والنفع وأحاسيس قانون الغاب والافتراس والتحلل والإباحية، من خلال الدراسات الاجتماعية والنفسية، والأعمال الأدبية والسينمائية والتلفزيونية، مما هز المجتمع الشرقي من أساسه، ونشر فيه من الجرائم والصراع ما لم يعهده أو يعرفه في تاريخه، ولعل رواية "وليمة عشاء لأعشاب البحر" - السيئة الذكر - من أحدث الأمثلة على ذلك، والقائمة الطويلة من إنتاج "محمد شكري" و "الطاهر بن جلون" و "الطاهر طار" و "تركي الحمد" وغيرهم الكثير تتزاحم لتؤدي دورها في هدم الأساس الخلقى الذي قام عليه المجتمع، واستبداله بأسس أخرى.

٥- رفع مصطلح الحداثة كلافئة فلسفية اصطلاحية بديلة لشعار التوحيد، والحداثة كمصطلح فكري ذي دلالات محددة تقوم على مادية الحياة، وهدم القيم والثوابت، ونشر الانحلال والإباحية، وأنسنة الإله وتلويث المقدسات، وجعل ذلك إطاراً فكرياً للأعمال الأدبية، والدراسات الاجتماعية، مما أوقع الأمة في أسوأ صور التخريب الفكري الثقافي.

٦- استبعاد مقولة الغزو الفكري من ميادين الفكر والثقافة، واستبدالها بمقولة حوار الثقافات، مع أن الواقع يؤكد أن الغزو الفكري حقيقة تاريخية قائمة لا يمكن إنكارها كإحدى مظاهر سنة التدافع التي فطر الله عليها الحياة، وأن ذلك لا يمنع الحوار، لكنها سياسة التخدير والخداع والتضليل التي يتبعها التيار العلماني، ليسهل تحت ستارها ترويج مبادئ الفكر العلماني، بعد أن تفقد الأمة مناعتها وينام حراس ثغورها، وتتسلل في أجزائها جرائم وفيرسات الغزو العلماني القاتل.

٧- وصم الإسلام بالأصولية والتطرف وممارسة الإرهاب الفكري، عبر غوغائية إعلامية غير شريفة ولا أخلاقية، لتخويف الناس من الالتزام بالإسلام، والاستماع لدعاته، وعلى الرغم من وقوع الأخطاء - وأحياناً الفظيعة - من بعض المنتمين أو المدعين إلى الإسلام، إلا أنها نقطة في بحر التطرف والإرهاب العلماني الذي يمارس على شعوب بأكملها، وعبر عقود من السنين، لكنه عدم المصادقية والكيل بمكيالين، والتعامي عن الأصولية والنصرانية واليهودية الموغلة في الظلامية والعنصرية والتخلف.

٨- تميم قضية الحل والحرمة في المعاملات والأخلاق، والفكر والسياسة، وإحلال مفهوم اللذة والمنفعة والربح المادي محلها، واستخدام هذه المفاهيم في تحليل المواقف والأحداث، ودراسة المشاريع والبرامج، أي فك الارتباط بين الدنيا والآخرة في وجدان وفكر وعقل الإنسان، ومن هنا ترى التخبط الواضح في كثير من جوانب الحياة الذي يعجب له من نور الله قلبه بالإيمان، ولكن أكثرهم لا يعلمون.

٩- دق طبول العولمة واعتبارها القدر المحتوم الذي لا مفر منه ولا خلاص إلا به، دون التمييز بين المقبول والمرفوض على مقتضى المعايير الشرعية، بل إنهم ليصرخون بأن أي شئ في حياتنا يجب أن يكون محل التساؤل دون التفريق بين الثابت والمتغيرات مما يؤدي إلى تحويل بلاد الشرق إلى سوق استهلاكية لمنتجات الحضارة الغربية، والتوسل لذلك بذرائع نفعية محضة لا يسيرها غير أهواء الدنيا وشهواتها.

١٠- الاستهزاء والسخرية والتشكيك في وجه أي محاولة لأسلمة بعض جوانب الحياة المختلفة المعاصرة في الاقتصاد والإعلام والقوانين، ولعل الهجوم المستمر على المملكة العربية السعودية بسبب احتكامها للشريعة في الحدود والجنايات من هذا المنطلق، وإن برروا هجومهم وحقدهم تحت دعاوى حقوق الإنسان وحرياته، ونسوا أو تناسوا الشعوب التي تسحق وتدمر وتقتل وتعصب بعشرات الآلاف، دون أن نسمع صوتاً واحداً من هذه الأصوات النشاز يكي لها ويدافع عنها، لا لشيء إلا أن الجهات التي تقوم بانتهاك تلك الحقوق، وتدمير تلك الشعوب أنظمة علمانية تدور في فلك المصالح الغربية.

١١- الترويج للمظاهر الاجتماعية الغربية، وبخاصة في الفن والرياضة وشركات الطيران والأزياء والعطور والحفلات الرسمية وقضية المرأة، ولكن كانت هذه شكليات ومظاهر لكنها تعبر عن قيم خلقية، ومنطلقات عقائدية، وفلسفة خاصة للحياة، من هنا كان الاهتمام العلماني المبالغ فيه بموضة المرأة، والسعي لتزع حجابها، وإخراجها للحياة العامة، وتعطيل دورها الذي لا يمكن أن يقوم به غيرها، في تربية الأسرة ورعاية الأطفال، وهكذا العلمانيون يفلسفون الحياة. يعطل مئات الآلاف من الرجال عن العمل لتعمل المرأة، ويستقدم مئات الآلاف من العاملات في المنازل لتسد مكان المرأة في رعاية الأطفال، والقيام بشؤون المنزل، ولئن كانت بعض الأعمال النسائية يجب أن تناط بالمرأة، فما المبرر لمزاحمتها للرجل في كل موقع؟!

١٢- الاهتمام الشديد والترويج الدائم للنظريات العلمانية الغربية في الاجتماع والأدب، وتقديم أصحابها في وسائل الإعلام، بل وفي الكليات والجامعات على أنهم رواد العلم، وأساطين الفكر وعظماء الأدب، وما أسماء "دارون" و "فرويد" و "دوركايم" و "الأنسية" و "البنوية" و "السريالية" وغير هذا الكثير مما لا يجهله المهتم بهذا الشأن، وحتى أن بعض هذا قد يتجاوز العلمانيون في الغرب، ولكن صدها ما زال يتردد في عالم الأتباع في الشرق، وكأننا نحتاج لعقود من الزمن ليفقه أبنائنا عن أساتذتهم هذه المراجعات.

### المسألة الخامسة: حكم الإسلام في العلمانية:

١ \_ العلمانية في الجانب التشريعي تعني فصل الدين عن الدولة أو عن الحياة كلها وهذا يعني الحكم بغير ما أنزل الله وقد فصل علماء العقيدة الحكم بغير ما أنزل الله على النحو التالي:

- إذا وقع الحكم بغير ما أنزل الله والحاكم سواء كان غرداً أو مجموعة يرى أن حكم الله غير صالح أو أن الحكم البشري أصح وأكمل من حكم الله فهذا كفر.



- إذا وقع ذلك عن جهل أو ضعف مع اعتقاد أن حكم الله أصح وأحق وأجدر فهذا فسق وظلم يجب على المسلم أن يتوب منه.
  - العلمانية من الجانب العقدي: تعني الإلحاد والتنكر للدين وعدم الإيمان به وترك العمل بأحكامه وحدوده وهذا الكفر الصريح.
  - من الجانب الأخلاقي: تعني الانفلات والفوضى في إشاعة الفاحشة والرذيلة والاستهانة بالدين والفضيلة والسنن وهذا ضلال مبین وفساد في الأرض.
- وانطلاقاً من هذا المفهوم نستطيع أن نقول أن العلمانية تتنافر مع لا إله إلا الله، من ناحيتين:
- ١ \_ من ناحية كونها حكم بغير ما أنزل الله.
  - ٢ \_ من ناحية كونها شرك في عبادة الله وقد قال تعالى (ألا له الخلق والأمر) فكما أن الخلق لله فالأمر والنهي لله، فمن جعل لله شريك في الأمر فهو كمن جعل مع الله شريك في الخلق.

### س: لماذا يرفض الإسلام العلمانية ؟

- ١ \_ لأنها تغفل طبيعة الإنسان البشرية باعتباره مكوناً من جسم وروح فتهم بمطالب الجسم وتغفل الروح.
- ٢ \_ لأنها نبتت في البيئة الغربية وفقاً لظروفها التاريخية والاجتماعية والسياسية وتعد فكر غريب في بيئتنا الإسلامية، فإذا كان هناك مبرر لوجود العلمانية في الغرب فليس هناك أي مبرر لوجودها في بلاد المسلمين لأن دين الله الحق ليس كالنصرانية المحرفة ثم إن المسلمين ما سادوا وقاموا العالم إلا بالتمسك بالإسلام ولما تخلوا عنه هانوا.
- ٣ \_ لأنها تفصل الدين عن الدولة فتفتح المجال للمذهبية والقومية والحزبية والطائفية.
- ٤ \_ لأنها تقسم المجال لانتشار الإلحاد والاعتراب والتفسخ والفساد والانحلال.
- ٥ \_ مع ظهور العلمانية يتم تكريس التعليم لدراسة ظواهر الحياة الخاضعة للتجريب والمشاهدة وتهمل أمور الغيب من الإيمان.
- ٦ \_ بعض أفكار ومعتقدات العلمانيين:
  - أ - بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً، وبعضهم يؤمن بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أي علاقة بين الله وبين حياة الإنسان.
  - ب \_ إقامة حاجز سميك بين عالمي الروح والمادة والقيم الروحية قيم سلبية.
  - ج \_ فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي.
  - ح \_ نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وتهدم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البيئة الاجتماعية.
  - خ \_ معتقدات العلمانية للعالم الإسلامي ما يلي:

الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة.

الزعم بأن الإسلام استنفذ أغراضه وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية.

الدعوة إلى تحرير المرأة.

تشويه الحضارة الإسلامية وتضخيم الحركات الهدامة والزعم بأنها إصلاح.

إحياء الحضارات القديمة.

اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها.

تربية الأجيال تربية لا دينية.

عموما العلمانيون في العالم الإسلامي يعرفون بالاستهانة بالدين والاستهزاء بالمتمسكين به كما يرفون ظهور المعاصي على سلوكهم ومظاهرهم وألستهم، كما يعرفون بإثارة الشبهات وإشاعة الفواحش كالسكر والتبرج والاختلاط المحرم، ومحاربة الحشمة والفضيلة والاستهانة بالسنن كما يعرفون بحب الفساق والكفار والإعجاب بمظاهر الحياة الغربية وتقليدها.

## الفصل الرابع

### المذهب الرابع: الحداثة

#### المسألة الأولى: تعريف الحداثة:

الحداثة مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية وأفاد من المذاهب الفلسفية التي سبقته مثل السريالية والرمزية.

#### المسألة الثانية: أهدافها:

تهدف الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين وما صدر عنها من عقيدة وشريعة، وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة وموروثة، لتبني الحياة على الإباحية والفوضى والغموض والغرائز الحيوانية، وذلك باسم الحرية.

والحداثة خلاصة مذاهب ملحدة، وهي إفراز طبيعي لعزل الدين عن الدولة في المجتمع الأوربي، ولظهور الشك والقلق في حياة الناس، مما جعل للمخدرات والجنس تأثيرهما الكبير.

#### المسألة الثالثة: نشأة الحداثة وأبرز شخصياتها:

بدأ مذهب الحداثة منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي في فرنسا تقريباً على يد كثير من الأدباء السرياليين والماركسيين والرمزيين، ولقي استحابة لدى الأدباء الماديين والعلمانيين والملحدين في الشرق والغرب، حتى وصل إلى العالم الإسلامي.

ومن إبراز رموز مذهب الحداثة في البلاد العربية ما يلي:

١ \_ يوسف الخال الشاعر النصراني، وهو سوري الأصل، رئيس تحرير مجلة شعر الحداثيّة، وقد هلك منتحراً أثناء الحرب الأهلية اللبنانية.

٢ \_ أدونيس وهو علي أحمد سعيد، نصيري سوري، ويعد المروج الأول لمذهب الحداثة في البلاد العربية، وقد هاجم التاريخ الإسلامي والدين والأخلاق في رسالته الجامعية التي قدمها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القديس يوسف في لبنان وهي بعنوان الثابت والمتحول، ودعا بصراحة إلى محاربة الله عز وجل.

٣ \_ عبد العزيز المقالح وهو كاتب وشاعر يمني، وقد كان مديراً لجامعة صنعاء وهو ذو فكر يساري.

- ٤ \_ عبد الله العروي وهو ماركسي مغربي.
- ٥ \_ محمد عابد الجابري - مغربي.
- ٦ \_ الشاعر العراقي الماركسي عبد الوهاب البياتي.
- ٧ \_ الشاعر الفلسطيني محمود درويش عضو الحزب الشيوعي الإسرائيلي.
- ٨ \_ كاتب ياسين ماركسي - جزائري.
- ٩ \_ محمد أركون - جزائري يعيش في فرنسا.
- ١٠ \_ الشاعر المصري صلاح عبد الصبور - مؤلف مسرحية الحلاج.

### المسألة الرابعة: الأفكار والمعتقدات:

- محمل أفكار ومعتقدات مذهب الحداثة كما هي عند روادها ومن خلال كتاباتهم وشعرهم ما يلي:
- ١ \_ رفض مصادر الدين (الكتاب والسنة والإجماع)، وما صدر عنها من عقيدة، إما صراحة أو ضمناً.
  - ٢ \_ رفض الشريعة وأحكامها كموجه للحياة البشرية.
  - ٣ \_ الدعوة إلى نقد النصوص الشرعية، والمناداة بتأويل جديد لها يتناسب مع الأفكار الحداثيّة.
  - ٤ \_ الدعوة إلى إنشاء فلسفات حديثة على أنقاض الدين.
  - ٥ \_ الثورة على الأنظمة السياسية الحاكمة، لأنها في منظورهم رجعية متخلفة أي غير حداثيّة، وربما استثنوا الحكم البعثي.
  - ٦ \_ تبني أفكار ماركس المادية الملحدة، ونظريات فرويد في النفس الإنسانية وأوهامه، ونظريات دارون في أصل الأنواع، وأفكار نيتشه وهلوسته، والتي سموها فلسفة في الإنسان الأعلى (سوبرمان).
  - ٧ \_ الثورة على جميع القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية والإنسانية، حتى الاقتصادية والسياسية.
  - ٨ \_ الغموض والإبهام والرمز - معالم بارزة في الأدب والشعر الحداثي.

### المسألة الخامسة: أهم خصائص الحداثة:

- ١ \_ محاربة الدين.
- ٢ \_ الحيرة والشك والقلق والاضطراب.
- ٣ \_ تمجيد الرذيلة والفساد والإلحاد.
- ٤ \_ الهروب من الواقع إلى الشهوات والمخدرات والخمور.
- ٥ \_ الثورة على القديم كله وتحكيم جميع أطر الماضي، إلا الحركات الشعبية والباطنية.
- ٦ \_ الثورة على اللغة بصورتها التقليدية.

- ٧ \_ امتدت الحداثة من الأدب إلى مختلف أنواع الفكر الإنساني ونشاطه.
- ٨ \_ قلب موازين المجتمع والمطالبة بدفع المرأة إلى ميادين الحياة بكل فتنها والدعوة إلى تحريرها من أحكام الشريعة.
- ٩ \_ يلاحظ في الحداثة القدم في التراث الإسلامي، وإبراز الشخصيات التي عرفت بجنوحها العقدي كالخلاج والأسود العنسي وغيرهم، وهذا المنهج يعبر به الأدباء المتحللون من قيم الدين والأخلاق والأمانة، عن خلجات نفوسهم وانتمائهم الفكرية.

### خلاصة:

يتضح مما سبق أن الحداثة فكر إلحادي جديد للكون والإنسان والحياة وليس تجديداً في فنيات الشعر والنثر والأدب. ومما يدل على ذلك أن أقوال سدنة الحداثة تكشف عن انحرافهم. وحسبنا في التدليل على سعيهم لهدم الثوابت أن نسوق قول أدونيس، وهو أحد رموز الحداثة في العالم العربي، في كتابه فن الشعر: (إن فن القصيدة أو المسرحية أو القصة التي يحتاج إليها الجمهور العربي ليست تلك التي تسليه أو تقدم له مادة استهلاكية، وليست تلك التي تسايه في حياته الجادة، وإنما هي التي تعارض هذه الحياة! أي تصدمه، وتخرجه من سباته، تفرغه من مورثه، وتقذفه خارج نفسه، إنها التي تجابه السياسة ومؤسستها، الدين ومؤسساته، العائلة ومؤسستها، التراث ومؤسساته، وبنية المجتمع القائم، كلها بجميع مظاهرها ومؤسستها، وذلك من أجل تدميرها كلها! أي من أجل خلق الإنسان العربي الجديد، يلزمنا تحطيم الموروث الثابت، فهنا يكمن العدو الأول للثورة والإنسان).

ولا يعني التمرد على ما هو سابق وشائع في مجتمعنا إلا التمرد على الإسلام وإباحة كل شيء باسم الحرية. فالحداثة إذن هي منهج فكري عقدي يسعى لتغيير الحياة ورفض الواقع، والردة عن الإسلام بمفهومه الشمولي، والانسحاق وراء الأهواء والنزعات الغامضة والتغريب المضلل.

وليس الإنسان المسلم في هذه الحياة في صراع وتحد مع الكون كما تقول كتابات أهل الحداثة، وإنما هم الذين يسعون إلى القضاء على الأخلاق والسلوك، باسم التجديد.

ونستطيع أن نقرر أن الحداثيين فقدوا الانتماء لماضيهم وأصبحوا بلا هوية ولا شخصية، ويكفي هراء قول قائلهم حين عبر عن مكنونة نفسه بقوله:

كلاهما جدار

لا الله أختار ولا الشيطان

هل أبادل الجدار بالجدار

كلاهما يغلق لي عيني

تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وسأل الله العافية والسلامة.